www.riwaya.ga

روايات مصرية

زهور
122

حُب للبيع

« الجزء الأول »

فوزي عوض

زهور

122

روايات رومانسية
رفيعـة المسـتوى

حُب للبيـع

(الجزء الأول)

بقلم : فوزى عوض سعداوى

العربية الحديثـة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندريـة
٨ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية ـــ الرقم البريدى ١١٣٨١
ت ٢٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٦٨٢٣٧٧٢ أو الرقم المجانى ٠٨٠٠٢٢٢٠٠٠٠

الفصل الأول

خلف منصتها الأنيقة الصغيرة وقفت مقدمة الحفل الحسناء ، تقرأ برصوت عالٍ مفعم بالبهجة من سجل الجوائز الذى تمسك به :

ـ جائزة أحسن رواية بوليسية لعام 2009 للأديب الشاب (شادى محمد الأمير) عن روايته « رجل خسيس » .

ودوّت القـــاعة الضخمة المكتظة بالجمهـــور بالتصفيق ، بينما نهض الأديب الشاب الوسيم من مقعـــده ، وانطلق صاعدًا إلى الإستيدج بقفزات غزال ، ووسط أعضاء لجنـــة التحكيم تلقّاه وزير الثقافة مصافحًا ومهنئًا بحميمية بالغـــة وهو يسلمه جائزته ، وبفرحـــة عارمة أضاءت وسامته وأناقته التفت (شادى) إلى جمهـــور القاعة ملوحًا لهم بجائزته ، بينما الجمهور الغفير لا يتوقف عن التصفيق وصيحات التهنئة ، ولكن فرحتهم الجميعًا كانت شيئًا وفرحة (ريم) وحدها كانت شيئًا آخر ، فقد قفزت واقفة فوق مقعدها ، وهى تتصايح بهوس ، وتلهب كفيها الصغيرتين الرقيقتين بالتصفيق بفرحة هيستيرية انهمرت معها دموعها فوق خديها غزيرة متدفقة حتى كادت تغشى عينيها الساحرتين عن رؤية زوجها ، ولكن زوجها كان يراها جيدًا ، وفى الحقيقة لم يكن يرى سواها ، ولم يكن يلوّح بجائزته إلاّ لها وحدها ..

www.riwaya.ga

★ ★ ★

وبالكاد انتزع (شادى) نفسه من حصار جيش المهنئين والإعلاميين من مراسلى الإذاعة والتليفزيون والفضائيات والصحف ، وانطلق فى يد (ريم) يركضان وهما يشدوان معًا بأغنية (حليم) بأعلى صوتهما وبفرحة هيستيرية :

Riwaya.ga

— « أيوه يا دنيا .. أيوه كده .. عمرى ما شفتك حلوة كده »

ومضيا يركضان بشدوهما وبهياج فرحتهما فى طرقات أرض المعارض وبين حدائقها التى عطرت نسيم الليل بعبق ورودها الفواحة ، وكأنها تشاركهما فرحتهما بعبقها ، وتحت مصابيح أعمدة الإنارة المُشعة بأنوار بيضاء شاهية غاية فى الرومانسية وكأنها أقمار مكتملة عالقة اصطفت فوقهما لتشاركهما أيضًا فرحتهما بيمنا تصدّح بعيدًا منْ خلفهما معزوفات الفرق الموسيقية المشاركة فى فاعليات المعرض الدولى للكتاب ، وكأنها هى أيضًا أبت إلاّ أن تشاركهما فرحتهما ..

فرحة ..

فرحة ..

فرحة ..

فرحة هيستيرية خطفت قلبيهما ، وراحت تدفعهما للركض أكثر وأكثر وأكثر ، حتى كادت تنقطع أنفاسهما ، فارتميا جالسين متلاصقين فوق عشب أحد الحدائق وهما يلهثان بشدة ..

★ ★ ★

(ريم) مُزة فى السابعة والعشرين .. قطعة ملبن مخروطة بإبداع مذهل ، فالوجه بيضاوى ناعم مائل إلى البياض باحمرار خفيف مثير ، والشعر كستنائى لامع فى نعومة الزبدة ، والعينين غزلانيتين تُشعان بريقًا ساحرًا وشقاوة أكثر سحرًا ، وبقية الملامح مرسومة برقة وعذوبة متناهية ، وأما القوام بتضاريسه النارية فهو الفتنة بعينها ، وقد زادته المُزة سخونة بثيابها العصرية الجريئة ، فإذا ما أُضيف إلى كل هذا الذكاء والحيوية والثقة فى النفس فلابد أن تكون النتيجة أُنثى رائعة تفوق أحلام بنى الرجال .

وأما (شادى) فهـــو وسيم من طـــراز خاص .. أربعينى فى حقيقته عشرينى فى هيئته وحيويته .. يافع رائع القوام .. جذاب الملامح .. يبروز وجهه الأسمر النضر شعر أسود فاحم ناعم طويل يتجاوز كتفيه ، وهو ما يضفى على مظهره الرائع المتناسق الألوان دومًا سحرًا مميزًا ..

ولكن لأن الكمال لله وحـــده فقد كان هـــذا الشاب بكل وسامته وتألقه ونجاحه مريضًا بداء مؤلم لا يحتمله بشر .. إنه صداع فتّاك غامض غريب يداهمه فى نوبات متقطعة ، وحينما يداهمه يصرعه فى مكانه حيثما كان ، ويجعـــل صراخه ينطلق مدويًا متلاحقًا وكأن عقله طار منه ، ورغم طوافه بكل مستشفيات « مصر » الحكومية إلا أن طبيبًا واحدًا من كافة أطباء هذه المستشفيات لم يستطع التوصل إلى سبب هذا الصداع .

Riwaya.ga ★ ★ ★

وهدأ صدرا الحبيبين ، وانتظمت أنفاسهما ، فاعتدلت (ريم) جالسة قبالته غير منتبهة لبلل العشب تحتها ، وأمسكت بيديه قائلة وعيناها تحلّقان فوق وجهه بسعادتها الجارفة :

– مبروك يا حبيبى .. مليون مليون مبروك .

وجاءها رد (شادى) بامتنان يفوق فرحتها :

– مبروك عليكِ أنتِ يا حبيبة قلبى ، فالإنصاف يقول : إن هذه الجائزة هى جائزتك أنت ، ولو كان الذين منحوها لى يعلمون الحقيقة لمنحوها لك أنت مصحوبة بكل التقدير والامتنان .

Riwaya.ga

– لماذا ؟! هل أنا الذى كتبت وأبدعت ؟!

– وهل بدونك كان يمكننى الكتابة والإبداع وإتمام هذه الرواية ؟! لقد كانت روايتى الأولى ، وكنت قد كتبت نصفها تقريبًا أثناء زواجى من (صفاء) ، ثم وقع الطلاق بيننا ، فإذا بى غير قادر على إتمامها ، وظللت لما يزيد على السنتين أحاول فيها دون جدوى ، حتى سلّمت بأن محنتى مع (صفاء) قضت على حلمى فى أن أكون أديبًا ، وتملكنى اعتقاد بأننى يوم طلقتها طلقت معها هذا الحلم إلى الأبد ، وأنها حطمت بداخلى كل أعمدة الحياة ، حتى الحلم ، ولم تتركنى سوى أطلال .. أطلال يستحيل بعثها ، ولم يخطر ببالى حينذاك للحظة أن الله برحمته سيبعث لى ملاكًا يعيد لملمتى وترميمى وبعثى ، ووضعى مرة أخرى على الطريق الذى فقدته ، ولم يكن هذا الملاك الرائع سوى أنت يا (ريم) .

ودُهشت (ريم) :

Riwaya.ga

ـ أنا ؟!!

ـ نعم أنت .

ـ ألا ترى أنك تبالغ كثيرًا يا أديبى الرائع ؟!

ـ أبالغ ؟! لماذا ؟! هل نسيتى كل ما فعلتيه لأجلى ؟! هل نسيتى جهادك الجبار معى كى أعاود الإمساك بقلمى ؟ هل نسيتى تشجيعك لى ليل نهار كى أنتصر على محنتى وأسترد إحساسى بالحياة ؟ هل نسيتى احتضانك لى بكل ما فى قلبك من حب وحنان وكأننى ابنك لا زوجك ؟ وإذا ما كنتى قد نسيتى كل هذا ، فهل بمقدروك أن تنسى ما كان أصعب وأقسى عليك منه ؟ عصبيتى طوال كتابة هذه الرواية ؟ عصبيتى الجامحة الجنونية التى لا يحتملها بشر ؟ عصبيتى التى لم تطقها أمى وأبى وإخوتى ، وجعلتهم يلفظوننى ، ويقطعون كل صلة تربطهم بى وكأننى مجنون لا يأمنون على أنفسهم معه

وتهدّج صوت (شادى) ، وفاضت عيناه بالدموع ، فأسرعت زوجته تمسك بيديه ، هاتفة بجزع وحنو :

ـ حبيبى !

ورفعت يدها تمسح بها دموعه وهى تعاتبه بحنانها الجارف :

ـ أيصح هذا ؟!! أيصح أن تبكى فى مناسبة كهذه وفى وجود زوج
حبيبتك ؟

أسرع يمسح دموعه :

Riwaya.ga

ـ أنا آسف يا حبيبتى .

ـ ما الذى جعلك تتذكَّر كل هذا الآن ؟!

ـ فضلك .. فضلك علىَّ يا أغلى الناس .

ـ الفضل لله يا حبيبى .. الفضل لله وحـده .. هـو الذى وهبك موهبة التأليف ، وهو أيضًا الذى وفقك فى عملك حتى صرت أنجح مدير تسويق فى شركة من أكبر شركات الدعاية والإعلان ، هو الذى يستحق الحمد والشكر .

ـ الحمد لله يا حبيبتى .. الحمد لله .

وسكت هنيهة ، ثم عاد يقول وقد سطع فى وجهه وعينيه بريق عجيب أزال على الفور سحابة ذكرياته المؤلمة :

ـ أتعلمين يا (ريم) أن التسويق عنـدى لا يقل متعة عن التأليف !! وتعلمين لماذا ؟ لأنه موهبة مثل موهبة التأليف .

ـ معقول !!

ـ نعم يا حبيبتى .

ـ كيف هذا ؟!

ـ أقول لك كيف ، فكما أن التأليف فن التسويق أيضًا فن ، لذلك يسمونه « فن البيع » ، وليس بمقدور أى شخص النجاح فيه إلاّ إذا كان موهوبًا بفن البيع ، لذلك أحبه ، وتغمرنى متعة عجيبة وأنا أمارسه .

وتطلع إلى زوجته بنظرة باسمة ساطعة ، عكست إعجابه بنفسه ، ثم أردف قائلاً بخيلائه :

ـ ثم إن موهبة التأليف فى المحروسة لا تؤكّل صاحبها عيشًا ، بعكس موهبـــة التسويق التى تغمر صاحبها بالأموال ، وأنا أموت فى الأموال وسحر الأموال !!

وانفجر ضاحكًا بنشوة عجيبة فاقت كثيرًا سعادته بجائزة الرواية ، بينما (ريم) تتأمله بدهشة طاغية أعجزتها عن التعليق بكلمة واحدة !!!!

★ ★ ★

وفى صباح اليوم التالى ، وداخل شركة « الدلتا » للدعاية والإعلان ، والتى تقع بالطابق الخامس من برج « الفهيم » المطل على ميدان « حلمية الزيتون » وقف (شادى) وسط زملائه وزميلاته فى الشركة يتلقى منهم التهنئة بالجائزة ، وارتفع صوت أحدهم قائلاً للجمع :

ـ التهنئة على الواقف هكذا لا تصلح ، هذه مناسبة أوفر ، ويلزمها احتفال أوفر .

وجاءه جواب (شادى) بفرحته :

ــ بالطبع سنحتفل بها ، ولكن مؤقتًا أنتم جميعًا مدعوون إلى مشروب جماعى من يد عم (محفوظ) .

انطفأت الفرحة فى قلوب ووجوه الجميع ، فأسرع (شادى) يسألهم بدهشة :

ــ ماذا هناك ؟!

وجاءه الجواب من زميل ثان :

ــ عم (محفوظ) فى المستشفى .

ــ لماذا ؟!

ــ أصيب بجلطة فى ساقه .

ــ متى حدث هذا ؟!

ــ أمس الأول عقب عودته إلى منزله مباشرة .

ــ وكيف علمتم ؟

ــ ابنته اتصلت بنا على تليفون الشركة ، وأخبرتنا ، فأسرعنا جميعًا إليه بعد العمل .

ــ ولماذا لم تتصلوا بى ؟

ــ لم نشأ أن نفسد عليك إجازتك ، وفرحتك بجائزتك .

وأطرق الجميع فى غم ، حتى قطع الصمت أحدهم بغمه :

ـ المشكلة أنه رجل شبه مُعدم ، ورب لأسرة من أربعة أبناء وأمهم ، والعملية تلزمها مصروفات كثيرة .

ـ ألم تخبروا (صفوت) باشا ؟

وجاءه الجواب من زميلة فى سخرية ومرارة :

ـ (صفوت) باشا !! (صفوت) باشا ، علم فى لحظتها ، وكان رده أنه عمل أُذنًا من طين وأُذنًا من عجين .

دُهش (شادى) :

ـ معقول !!

وتدخلت زميلة أخرى فى تذمُّر وسخط :

ـ لا أدرى لماذا نحـن صامتين على هـذا الحال ؟! لا تأمين علينا ، ولا مساعدة من الشركة لأحدنا فى محنة ، ولا ذرة إنسانية فى (صفوت غطاس) باشا مالك الشركة ، وكأننا نعمل فى مخبز بلدى يمتلكه بلطجى سابق ، لا فى شركة محترمة .

وجاءهم الجواب كقنبلة انفجرت فجأة فى وجوههم جميعًا ، لا بسبب الجواب نفسه ، ولكن لأنه جاءهم من (صفوت غطاس) نفسه ، الذى تصادف خروجه من مكتبه فى هذه اللحظة ، وسمع ما تقوله الموظفة فوقف خلفهم يجيبهم بمنتهى القسوة والتحدى :

ـ هذا هو نظامنا يا محترمة ، وعلى الرافض له أن يرحل فورًا .

وراح يدور عليهم بنظرته الحادة المتحدية ، فلما لم يحرك أحدهم ساكنًا من شدة المفاجأة ، أردف قائلاً للجميع :

ـ يومان خصم لحضراتكم جميعًا لترككم أعمالكم .

ثم التفت إلى صاحبة السؤال مردفًا :

ـ أما أنت يا محترمة فخمسة أيام خصمًا .

وحدجها بنظرة سخرية وشماتة ، التفـت بعدها إلى (شـادى) قائلاً باحتقار عجيب :

ـ حمد الله على السلامة يا (شادى) باشا .

أسرع (شادى) يجيبه وقد داهمه الحرج :

ـ الله يسلمك يا افندم .

ـ هل عُدت من إجازتك لتعقد هذا الاجتماع تعويضًا للشركة عن هذه الإجازة ؟!

ازداد (شادى) ارتباكًا :

ـ يا افندم أنا .... أنا ....

ـ أنت ابن حلال يا (شادى) .. كلك وفاء للشركة التى تأكل منها عيشًا ، لذلك يهمنى أن أُبلغ سيادتك بأنه إذا ما حدث أن دهستك سيارة خارج هذه الشركة ، فلا تُفكر للحظة فى الاستغاثة بها ، وذلك لأنها بكل أسف لن تغيثك .. مفهوم يا (شادى) باشا ؟

وجاءه رد (شادى) بانكسار مخز :

ـ مفهوم يا افندم .

وبنظرة احتقار سامة حدجه (صفوت غطاس) ، ثم استدار ماضيًا فى طريقه ، تاركهم جميعًا جامدين فى أماكنهم كأصنام تُجسد الذهول والسخط فى ذروتيهما .

★ ★ ★

الفصل الثانى

لا يدرى (شادى) كيف أتم يومه فى الشركة ، وكيف غادرها ، وكيف يمضى فى طريقه الآن عائدًا إلى منزله بـ « ألف مسكن » ، فقد تحولت كلمات (صفوت غطاس) المهينة له نصالاً حادة مسمومة لم تتوقف للحظة عن تمزيقه ، وحريقًا شب فى أعصابه متصاعدًا إلى رأسه ، حتى كاد يعميه عن الطريق ، وبكمد يكاد يفجّر أوردته وشرايينه وجد نفسه يسترجع حكايته العجيبة مع (صفوت غطاس) من بدايتها ، حينما كانا مندوبين صغيرين زميلين فى شركة دعاية وإعلان يمتلكها رجل أعمال شهير ، ومع مرور السنوات عليهما ، واجتهادهما فى عملهما عرفا كل أسرار المهنة ، واكتشفا أنها مهنة رابحة جدًا ، ولكن خيرها كله يذهب إلى مالك الشركة ، وأن تأسيس مثل هذه الشركة لا يحتاج إلى رأس مال كبير ، فكان سؤالهما لبعضهما « لماذا لا يؤسسان شركة صغيرة معًا ويجتهدان فى تكبيرها بما اكتسباه من خبرة ؟ » ، وهكذا ولد الحلم ، ومن هذه اللحظة صار هذا الحلم هو طعامهما وشرابهما والهواء الذى يتنفسانه ، وصارت جلساتهما واتصالاتهما وأحاديثهما كلها عنه ، حتى باتا يشعران بأن تحقيقه صار قاب قوسين أو أدنى ، ولكن فجأة وبعد ستة أو سبعة أشهر حدث شىء عجيب .. فجأة اختفى (صفوت غطاس) من شركة رجل الأعمال الشهير ومن مسكنه ومن دائرة أقاربه وأصدقائه ومعارفه جميعًا ، وكأنه فص ملح وذاب فور استقالته من الشركة دون علم (شادى) !! وراح الأخير يضرب أخماسًا فى أسداس ، ولكن ما هى إلاّ شهرين تقريبًا

www.riwaya.ga

إلا وفوجئ بهذا الـــ (صفوت غطاس) يقطع عليه الطريق أثناء ذهابه إلى الشركة بسيارة فارهة ، ويصطحبه إلى شركة دعاية وإعلان جديدة فى « الجيزة » ، وهناك يخبره بأنها شركته ، ويعرض عليه ترك شركة رجل الأعمال ، والعمل معه كمدير تسويق براتب وعمولة ثلاثة أضعاف ما يتقاضاه من راتب وعمولة من رجل الأعمال ، ولكن بشرط واحد ، وهو أن يمنحه شيكًا وإيصال أمانة على بياض ، فكان جوابه هو الموافقة بدون تردد ، وعلى الفور تسلم عمله ، دون أن يُفكّر لوهلة فى إخطار شركة رجل الأعمال ، أو وداع زملائه فيها ، بعد زمالة دامت لأكثر من سبع سنوات !!!

ومضت الأيام بـــ (شادى) و(صفوت غطاس) وهما كما السمن على العسل .. احترام متبادل ، وتفاهم ، واجتهاد مشترك ، وسعادة بالنجاح يومًا بعد يوم ، ولكن هذا كله لم يكن سوى قشرة هشة تخفى تحتها مشاعر وخواطر مختلفة تمامًا ، فـــ (شادى) ظل يتنازعه تساؤل انتصب فى عقله كصليب مدبب عن لغز هذه الأموال التى غطس (صفوت غطاس) فجأة لأيام معدودات ثم ظهر بها فجأة أيضًا ، وفى قلب (شادى) أيضًا تفاقمت كراهية وغل أسود تجاه هذا الإنسان الذى خطف حلمهما المشترك بخسة ووقاحة لم يصادف لهما مثيلاً ، وحوّله من شريك له فى الحلم وزميل له إلى موظف لديه يأتمر بأمره ، ويعيش على الفتات التى يلقيها له ، وليته اكتفى بهذا ، بل وضع سيفًا بتارًا فوق رقبته ، ألا وهو الشيك وإيصال الأمانة ..

وأما (صفوت غطاس) فقد كان يعلم جيدًا بكل هذا الذى يدور فى عقل وقلب (شادى) ، ويشم بقوة رائحة الغل والحقد المشتعلتين فى قلبه ،

ويرى فيه الإنســان الخسيس عديم الوفاء ، الذى لم يتردد فى بيع رجل الأعمال الذى طالما عاش على خيره ، وبيع عشرة زملائه بحفنة جنيهات لا أكثر .. وبمجموع ما لمسه فيه من حقد وغل وخسة وعدم وفاء أيقن أنه إنســان لا أمان له ، ولكنه مضطر للاستعانه به لخبرته ، ولعلاقاته الوطيدة بعدد كبير من عملاء شركة رجل الأعمال ، وهو ما يجعل بمقدوره إقناعهم بالتعامل مع شركته الوليدة ، وخاصة إذا ما قدم لهم عروضًا بأسعار أقل من أسعار شركة رجل الأعمال ، ومن هنا راح (صفوت غطاس) يغمره باحترامه ومودته الظاهرتين ، بينما حذره الدفين منه لا يفارقه للحظة حتى وقع ما كان يعمل له ألف حساب .. جاءه من يهمس فى أذنه بأن (شادى) يسعى فى البحث عن شريك ممول يؤسس معه شركة دعاية وإعلان ، وأنه قطع شوطًا كبيرًا فى إقناع أحد عملاء الشركة بتمويله ، وكاد (صفوت غطاس) يُجن ، ولكنه سارع بتمالك نفسه وإخفاء صدمته تمامًا ، وفى اليوم التالى كان يكافئ (شادى) بحقيبة أوراق غاية فى الفخامة لاجتهاده المتواصل فى الشركة ، وفى نفس اليوم أطلق فى أثره من يراقبه ، ولم يكد يمر أسبوع حتى كان يأخذ منه الحقيبة فى مكتبه ، وينتزع منها ميكروفونًا بحجم حبة الترمس ، وفى لحظات كان (شادى) يستمع إلى نفسه من كمبيوتر المكتب وهو يناقش شريكه الممول فى تفاصيل البدء فى تنفيذ المشروع .. وأسقط فى يد (شادى) ، بينما سارع (صفوت غطاس) باستدعاء محامى الشركة ، وتكليفه بتقديم إيصــال الأمانة الخاصة بـــ (شادى) إلى النيابة فــورًا ، فما كان من الأخير إلا أنه أسرع يختطفه فى حضنه فى فزع وانهيار ، هاتفًا به فى

هيستيريا بأنه هو السبب ، فهو الذى أخل بتخطيطهما وسعيهما لتأسيس الشركة معًا ، وبالتالى هو الذى أعطى للشيطان الفرصة لأن يدخل بينهما ، ومع ذلك هو ما يزال يحبه ويعتز بصداقتهما وبالعيش والملح اللذين اقتسماهما لسنوات طويلة ، وإذا بدموعه تنهمر متوسلاً إليه أن يتذكر كل هذا ، ويصفح عنه ، مؤكدًا له أن الأمـــر لم يكن ســـوى ضعف إنسانى لا أكثر ، ومقسمًا له بأغلظ الأيمان بأنه لن يكررها ، وسيكمل معه المشوار بكل الوفاء والإخلاص ، بل إنه سيبذل المستحيل لتعويضه عن هذه السقطة ، ثم كان ختامه لوصلة التوسل والتدنى بانحنائه فجأة على يد (صفوت غطاس) ، وغمرها تقبيلاً بالدموع ، حتى وجد الأخير نفسه يهتف به فى ذهول وامتعاض :

ـ كفى .. كفى يا بنى آدم .. وهيـــا عُد إلى مكتبك .. ولكن أقسم بالله وبأولادى بأنه إذا ما حدث أن تكررت منك هذه النذالة مرة أخرى فإننى لن أتردد فى قطع رقبتك ولو لعقت حذائى بلسانك .. هيا .. هيا اذهب من وجهى !

وعاد (شادى) إلى مكتبه ، ولكن بشخصية غير الشخصية ، وحال غير الحال ، فمن لحظتها انقلبت معاملة (صفوت غطاس) له من الاحترام الظاهر إلى الاحتقار المتواصل جهرًا ، وما عاد شىء يوقفه عن إهانته ، وما عاد (شادى) يملك سوى أن يكظم كمده ، تمامًا كما فعل الآن ، حتى صار يشعر بأن أعصابه أنابيب منتفخة بنار مستعرة تكاد تفجِّرها ، وبأنه لا يرى الطريق ، فتوقف فى مكانه قبل أن يبلغ سيارته المتواضعة بأمتار

قليلة .. وفجأة دوّت صرخته هادرة وهو يسارع بضغط رأسه بين يديه وينزل جاثيًا على ركبتيه ، والتفت إليه المارة فى دهشة دون أن يتوقفوا عن السير ، عدا حسناء ثلاثينية العمر أسرعت تنحنى عليه وتسأله :

ـ مالك يا أستاذ ؟!

ـ رأسى .. رأسى سينفجر .. آآاه .

ـ تذهب إلى مستشفى ؟

ـ نعم .. أدركونى .. أدركونى ..

أسرعت الحسناء تهتف فى المارة الذين توقفوا فقط حين شاهدوها تنحنى عليه :

ـ هل يتطوع أحدكم بالذهاب به إلى أقرب مستشفى ؟

وجاءتها الإجابات سريعة متلاحقة :

ـ أنا ..

ـ أنا ..

ـ أنا ..

وهتف أحدهم وهو يسبق الجميع فى حمل (شادى) :

ـ تاكسى بسرعة .

وأسرع رجـل أربعينى العمر يهتف وهـو يشير إلى سيارته الملاكى واقفة خلفهم :

ـ أنا معى سيارة .

وأسرع الجميع يساعدون فى حمل (شادى) وأدخلوه السيارة ، بينما قفز مالكها أمام الدريكسيون ، وحينما لاحظ أن الحسناء لم تركب أسرع يسألها :

ـ ألن تأتى معنا ؟

وجاءه اعتذارها الرقيق :

ـ طفلى وحده فى البيت .. البركة فيكم .

طفحت خيبة الأمل على وجهه ووجوه الجميع ، وسارع رجل يضع رأس (شادى) على صدره يتركها وهو يقول :

ـ آه .. كنت سأنسى ابنتى أمام حضانتها .. ربنا معكم .

وقفز من السيارة ، فأسرع مالكها ينطلق بها قبل أن يقفز الآخرون منها أيضا .. وفى الطريق وبينما كان (شادى) يواصل تأوهاته بكم متزايد راح موبايله يرن بإلحاح ، فأسرع مالك السيارة يقول للرجل الذى يمسك بحقيبة (شادى) وموبايله :

ـ رد على الموبايل ، فربما يكون المتصل من أهله .

وفعل الرجل ، فإذا بـ (ريم) هى التى تتصل . أسرع يخبرها بما حدث ، وبأنهم فى طريقهم إلى مستشفى « أم المصريين » .. دقائق وكانوا فى المستشفى ، وكان أطباء قسم الطوارئ يفحصون (شادى) فحصاً دقيقاً ،

وجاءت (ريم) ووالداها مهرولين ، وأسرعت (ريم) تسأل الأطباء بقلق بالغ يوقف قلبها عما به ، وكان جواب كبيرهم بأنه لا بد من عرضه على طبيب مخ وأعصاب سواء فى العيادة الخارجية هنا أو فى أى عيادة أخرى ، أما الآن فإنهم لا يملكون سوى حقنه بدواء مهدئ قوى يرحمه من هذا الألم الذى يفتك برأسه ..

* * *

وعادت (ريم) ووالدها بـ (شادى) إلى المنزل نائما ، فالمخدر الذى اندفع فى عروقه لم يذهب فقط بالألم الرهيب الذى كاد يصرعه ، بل أرخى أعصابه تماما ، وأسلمه للنعاس ، فنام بعمق ، ولم يستيقظ إلا صباح اليوم التالى ، لتجد (ريم) تقول له بتعجل :

ـ هيا يا (شادى) تناول إفطارك ، وبدل ثيابك بسرعة !

وفوجئ (شادى) :

ـ ما الحكاية يا حبيبتى ؟! إنك لم تقولى « صباح الخير » حتى !

ـ آسفة يا حبيبى .. صباح الفل ، وهيا انهض من فراشك هذا بسرعة .

ـ لماذا ؟

ـ لأنه ينتظرنا الآن طبيب مخ وأعصاب فى مستشفى « ابن الرومى » فى « القاهرة الجديدة » .

ـ مستشفى « ابن الرومى » الاستشارى ؟!

ـ نعم .

ـ وهل نحن نستطيعها ؟! إنها أغلى مستشفى فى « مصر » .

ـ لن ندفع شيئاً .

ـ كيف ؟!

ـ الطبيب مالك المستشفى هو ابن اخت المهندس (عمر) صديق بابا ، والمهندس (عمر) اتصل به ـ وروى له ما حدث معك ، فطلب الطبيب حضورك فوراً لفحصك وعمل اللازم بدون مقابل .

انفرجت أسارير (شادى) متسائلاً فى دهشة :

ـ بدون مقابل ؟!

ـ نعم .. بدون مقابل .

انقلبت دهشته مرَاحاً :

ـ إذن هيا بنا بسرعة قبل أن يرجع فى كلامه .

وأسرع يبدل ثيابه ، فأسرعت هى تسأله بدهشة :

ـ ألا نفطر أولاً .

وكان رده وهو يواصل تبديل ثيابه فى لهفة :

ـ نفطر فى الطريق .. هاتى صحون الإفطار معنا .

ودهشت (ريم) :

– صحون الإفطار ؟! ونفطر فى الطريق ؟!

– كيف هذا ؟! هل أنت مجنون ؟!

– مجنون ؟! طبعًا مجنون .. ألست ذاهبة بى إلى طبيب مخ وأعصاب ؟ إذن مخى مشكوك فى سلامته .

– ومن سمعك يا حبيبى ، فإذا كان مخك مشكوكًا فيه فأنا بلا مخ من الأصل .

أسرع ينظر فى وجهها هاتفًا :

– يا نهار أسود ! كيف هذا ؟!

– هذه هى الحقيقة يا نور عينى ، لأنه لو كان بى مخ ما كنت تزوجتك ، ولا أحببتك من الأصل .

* * *

الفصل الثالث

من واجهتها ومدخلهـا وريسبشنها بدت مستشفى « ابن الرومى » وكأنها بناية ساحرة مـن الأساطير لعظم فخامتها ، وأما عن ضخامتها فكانت تمتد لنحو عشرة أفدنة ، وترتفع لعشرة طوابق ، وفى صدر ريسبشنها كان يستقبل كل من يدخلها بوستر ضخم لرجل مهيب لا يقل فخامة عن المستشفى وقد كُتب أسفلها بحروف سوداء ضخمة المرحوم الدكتور (فؤاد عبد العزيز الرومى) .. هـذه الفخـامة المهيبة خطفت (شادى) من نفسه وهو يدير عينيه بانبهار ودهشة طاغية فى أنحاء الريسبشن ، ولم ينتبه إلاّ على صوت (ريم) وهى تطالبه بتسليم رقمه القومى لموظف الاستقبال ، حيث قام الأخير بتدوين بياناته على الكمبيوتر ، ثم أشار لهما إلى عيادة المخ والأعصاب ، فمضيا إليها ، ولكن ما هى إلا عدة خطوات حتى فوجئا برجل وجيـه أربعينى العمـر مدهش الأناقة ، يرتدى حُلة كاملة عالمية الماركة يأتى من خلفهما ليعترض طريقهما مدققًا النظر فى وجه (شادى) وفوجئ الأخير ، وأسرع يسأله بشىء من الغضب والدهشة :

www.riwaya.ga

ـ خير يا أستاذ ؟!

وكان رد الرجل الوجيه بهدوء متناه وتبسم :

ـ حضرتك (شادى الأمير) ؟

ازدادت دهشة (شادى) :

ـ نعم .. أنا (شادى الأمير) !

اتسعت ابتسامة الرجل الوجيه :

ـ ازيك يا (شادى) .

تحرك ضيق (شادى) لنطق اسمه مجردًا بدون « أستاذ » أو غيره ، وأسرع يسأله بعصبية :

ـ من حضرتك ؟!

تأمله الرجل الوجيه بعينيه الباسمتين لوهلة قبل أن يسأله :

ـ ألا تتذكرنى ؟

وبدأ صبر (شادى) ينفد :

ـ لا يا سيدى ، لا أتذكرك .

ـ أنا عفريتك .

فوجئ (شادى) :

ـ عفريتى ؟!

ـ نعم .. عفريتك .. ألا تعرف عفريتك ؟

ـ يا حضرة .. لو سمحت ..

ـ عدوى اللدود ؟!

ـ نعم .. عدوك اللدود .. عدوك اللدود فى « النقراشى » الثانوية .

فوجئ (شادى) بذكر مدرسته ، ووجد نفسه يدقق النظر فى الرجل الوجيه الهادئ المبتسم ، وإذا به يهتف فجأة :

ـ جهاد .. جهاد الرومى .. جى آر !!

وأسرع يعانقه بمزيج هادر من الدهشة والفرحة ، حتى إنه لم ينتبه إلى ما فى عناق (جهاد) من تعالى ، بينما انتبهت (ريم) فكان فتورها المتعمد و(شادى) يقدمه لها :

ـ (جهاد الرومى) صديق قديم وزميل دراسة حتى افترقنا بعد الثانوية العامة ، وكان دائمًا منفوخًا كالديك الرومى ، وكان مفتونًا بالأمريكان ، ويعاملنا بنفس عنجهيتهم وهو ما جعلنا نطلق عليه أول حرفين من اسم « جى آر » بطل مسلسل أمريكى اسمه « دالاس » .

وكان رد (ريم) على هذا التعريف المسهب وبابتسامة فاترة متعالية :

ـ أهلاً وسهلاً .

ولم يزد جواب (جهاد) عن إيماءة خفيفة دون أن يخرج يده من جيب بنطاله ، وللمرة الثانية لم تستوقف هذه العجرفة (شادى) ، بل أسرع يسأل (جهاد) بنفس البراءة وبشىء من الأسى :

ـ ها يا « جى آر » .. ماذا تفعل هنا ؟ أنت مريض ؟

انسابت ابتسامة (جهاد) المتعجرفة على شفتيه ، وهم بأن يجيب ، فإذا بنداء حريمى ينطلق من الإذاعة الداخلية للمستشفى :

ـ الدكتور (شريف حمزة) .. الرجاء التواجد فورًا بالغرفة 206 ـ الدكتور (شريف حمزة) الرجاء التواجد فورًا بالغرفة 206 .

وظهر طبيب شاب يدخل المستشفى مهرولاً ، فإذا بـ (جهاد) يستولى بشىء من الغضب :

ـ دكتور (شريف) !

وجاءه الطبيب الشاب مهرولاً مرتبكًا ، فبادره (جهاد) بحدة :

ـ الساعة كم يا دكتور ؟

وكان رد الطبيب الشاب بارتباكه وبحرج شديد :

ـ آسف يا دكتور .. الطرق كلها مزدحمة ، وشبه متوقفة .

ـ لا تقدم لى مبررات يا دكتور .. المبررات لا تنقذ مريضًا ولا تشفيه .

ـ آسف يا دكتور (جهاد) .. آسف جدًا .. لن أكررها .

ـ تفضل .

وانطلق الطبيب الشاب مهرولاً ، والتفت (جهاد) إلى (شادى) و(ريم) فإذا بهما يحدقان فيه بدهشة متناهية ، ووجد (شادى) نفسه يسأله بجم دهشته :

ـ أنت طبيب هنا يا (جهاد) ؟!!

وكان رد (جهاد) بهدوء وبابتسامته المتعالية :

ـ أنا طبيب ومالك المستشفى .

ضربت المفاجأة (شادى) و(ريم) ، وأسرعا يتبادلان نظرة ذهول ، ثم عادا يحدقان فى (جهاد) بذهولهما ، فما كان منه إلاّ أنه سأل (شادى) بنفس هدوئه وتعاليه .

ـ ماذا تفعل أنت هنا يا (شادى) ؟

وتلعثم (شادى) :

ـ أ .... أ ....

وأسرعت (ريم) تجيب بابتسامة رقيقة مرتبكة :

ـ نحن هنا للكشف على (شادى) .

ـ أى تخصص ؟

تبادلت (ريم) مع (شادى) نظرة حرج ، ثم أجابت بحرجها :

ـ مخ وأعصاب .

ـ إذن تفضلا معى .

ومضى بهما إلى عيادة المخ والأعصاب ، فإذا بممرضة شابة حسناء تسارع بفتح باب العيادة له ، وإذا به يجلس إلى المكتب الفخم وهو

يدعوهما إلى الجلوس أمامه ، فجلسا وقد أطبقت عليهما المفاجأة حتى شعرا وكأن كتلة هائلة من الضباب الثقيل ضربتهما وكادت تذهب ببصرهما وسمعهما وكل حواسهما ، وحتى أنهما شعرا وكأن صوت (جهاد) يأتيهما من أغوار بئر سحيق وهو يرحب بهما بلهجته الجافة :

ـ أهلاً وسهلاً .

وجاءه الرد باسمًا رقيقًا من (ريم) وقد تبدّل نفورها باحترام متناهٍ :

ـ أهلاً بحضرتك يا دكتور .

ـ ماذا تشربان ؟

وللمرة الثانية جاءه الجواب من (ريم) وقد ازدادت رقة :

ـ مرسيه يا دكتور .. حضرتك كلك ذوق .

انتبه (جهاد) لرقتها ، ووجد نفسه يختلس نظرة سريعة فاحصة إليها من أعلى إلى أسفل فإذا بها وجه قمرى شهى الملامح فوق باقة ملتفة ساخنة شهية يعتصرها بنطالها الجينز وباديها الضيقان .. مرقت في وجدانه دفقة افتتان جامحة جعلت ابتسامة دافئة تنساب فوق شفتيه طارة عجرفته وتعاليه ، ووجد نفسه يسألها بابتسامته :

ـ تسكافيه مثلى .

ـ أوكيه ..

والتفت بابتسامته إلى (شادى) :

ـ مثلنا يا (شادى) ؟

وجاءه رد (شادى) بمزاح مخضبًا ببقايا دهشته :

ـ مثلكما يا دكتور (جهاد) .

ضغط (جهاد) مفتاح الديكتافون المستقر أمامه على يمين المكتب قائلاً :

ـ ثلاثة نسكافيه بسرعة يا (إبراهيم) .

وجاءه صوت الساعى الشاب من الديكتافون :

ـ أمرك يا دكتور .

وعاد ينظر إلى (شادى) ، فإذا بالأخير يسأله بنفس لهجته المازحة :

ـ ولكن كيف التحقت بكلية الطب يا (جهاد) ومجموعك فى الثانوية العامة لم يكن يؤهلك للالتحاق بكلية التجارة حتى ؟!

فوجئ (جهاد) و(ريم) بالسؤال ، وأسرعت الأخيرة تحدج (شادى) بنظرة لوم ، وأسرعت بعدها تقول لـ (جهاد) بلهجة اعتذار كلها حرج :

ـ (شادى) لا يقصد يا دكتور (جهاد) .. إنه فقط يمازح حضرتك باعتبارك صديقًا عزيزًا .

وكان رد (جهاد) عليها ابتسامة فاترة ، اعتدل بعدها فى مقعده مستردًا كل عجرفته وتعاليه ، وهو يخرج سيجارًا كوبيًا فاخرًا من جيبه ويشعله بهدوء متناهٍ ، ثم راح يجيب (شادى) وهو يعد كلماته ببرود مثير كله غطرسة :

ـ لعلك نسيت يا سى (شادى) أننى ابن أستاذ فى الجامعة ، أى أننى لى استثناء من شرط المجموع ، ومع ذلك درست الطب فى جامعة خاصة ، وهذا لسبب بسيط ، وهو أن الدراسة فى جامعات « مصر » الحكومية بالكاد تناسب آكلى الفول والطعمية ، ذوى العقول العشوائية المريضة التى لا وان يفلح معها علاج .

وحدج (شادى) بنظرة احتقار خاطفة تأكيدًا منه بأنه يعنيه بهذا ..

وبُهت (شادى) !!

بُهت إلى حد أن عينيه تعلقتا بعينى (جهاد) .. فى ذهول دون أن ينبس ببنت شفة ..

أما (ريم) فقد انتفض كيانها كله مصدومًا بالإهانة ، وطفحت صدمتها على وجهها وهى تحدج (جهاد) بنظرة عصبية تتأجج غضبًا انطلقت معها كلماتها أشد حدة وعصبية :

ـ أهكذا هـم آكلو الفـول والطعمية فى نظرك يا دكتور ؟!! مرضى عقـول ؟!! ولا دواء لمرضهم هذا ؟!! إذن فالشعب المصرى كله ما عدا لصوصه وناهبيه الكبار مريض العقل !! وإذن هذا البلد ليس « جمهورية مصر العربية » وإنما هـو « مستشفى مصر للأمراض العقلية » ، ونزلاؤه يزيدون على الثمانين مليـون مريض عقلى !!! أليس كذلك يا دكتور ؟!! أليس كذلك ؟!! أما عن جامعات « مصر » الحكومية أليس غريبًا أن تبنى حكومة جامعات لشعب مجنون ؟!! وأليس غريبًا أن يخرج

من هذه الجامعات أمثال (نجيب محفوظ) و(مجدى يعقوب) و(أحمد زويل) وغيرهم وغيرهم ؟!! أليس غريبًا أن يشهد العالم بأن هؤلاء عباقرة ونابغون ، ويحتفى بهم إلى حد منحهم « نوبل » ؟!! أم أن هؤلاء العباقرة خدع يا دكتور ؟ خـدع خدعنا بها العـالم ، ونصبنا بها عليـه .. أى أن « مصر » ليست فقط مجنونة ، بل نصابة أيضًا ، وجابت لنا العار يوم ... يوم ... يوم ولدت لنا أمثالك .

وبمنتهى الترف راحت تمسحه بنظرة احتقار ، التفتت بعدها إلى (شادى) الذاهل تمامًا ، قائلة له فى حسم :

ـ هيا يا (شادى) !

وأسرعا مغادرين العيادة ، تاركين (جهاد) غارقًا فى ذهوله .

* * *

طوال الطريق من المستشفى وحتى دخلا شقتهما لم ينبس (شادى) و(ريم) ببنت شفة ، غرق (شادى) فى ذهوله مما حدث ، بدا له الذى حدث ما بين دخوله المستشفى وخروجه منها كمشهد سينمائى فى فيلم هندى .. مشهد صادم بدايته مفاجآت عاصفة مذهلة ، ونهايته مهينة مؤلمة غير متوقعة ، أما (ريم) فقد راحت تأكل فى نفسها غيظًا لأنها لم تمسح الأرض أكثر بكرامة هذا الخنزير المدعو (جهاد) ، وراحت تندم لأنها لم تضربه بحذائها .. وبحاليهما هذين دخل الزوجان غرفة نومهما ، وبينما راحت (ريم) تُبدل ثيابها وعلامات اختناقها تطفئ وجهها ألقى (شادى)

بجسده فى المقعد المجاور للفراش وهــو يطلق زفــرة حارقة من أعماق صدره ، وجد نفسه بعدها يغمغم قائلاً بمنتهى الاختناق والمرارة :

ـ أذهب إلى مستشفى لأعالج أعصابى فأعود منها بأعصابى محطمة ودمى محروقًا ؟!

وفوجئت (ريم) ، وأسرعت تجثو على ركبتيها أمامه ، قائلة له بمنتهى الحنو :

ـ ومن هــذا الذى يستطيع تحطيم أعصابك وحرق دمك ؟! حشرة مثل هذا ؟! إنه ليس أكثر من حشرة ، بل حشرة مريضة .

ـ من يومه وهو هكذا .. منفوخ نفخة كدابة ، ولا يجيد فى حياته أكثر من تجريح الآخرين .

وهز رأسه تعجبًا وأردف قائلاً :

ـ إننى أتعجب !! كيف يصبح مثل هذا المخلوق طبيبًا !! بل ويكون تخصصه هو مداواة أعصاب المتألمين بعلة فى أعصابهم ، أى الذين هم فى أمس الحاجة للرحمة والرفق والحنو !! كيف هذا ؟!! كيف ؟!!

وجاءه التفسير من (ريم) بمرارة تفوق مرارته :

ـ المال .. المال يا (شادى) .. الثراء الفاحش هو الذى شجع هذا النوع من البشر على شراء كل شىء ، حتى مهنة مثل مهنة الطب أخطر وأقدس مهنة على الإطلاق !!

– بل حتى البشر يا (ريم) .. شجعهم حتى على شراء البشر .

وإذا بهتفة (ريم) بمنتهى الاستنكار :

– البشر الرخيصة فقط يا (شـــادى) .. البشر الرخيصة الذين يقبلون ببيع أنفسهم ، أما الإنسان الحقيقى الذى كرمه الله وغرس فيه عزة النفس يموت من الجوع ولا يبيع نفسه بأموال الدنيا كلها .

– وهل هذا الإنسان موجود فى زماننا هذا يا (ريم) ؟

– هذا السؤال تسأله لنفسك يا (شادى) .. هل تقبل بأن تبيع نفسك ؟

وفوجئ (شادى) بالسؤال ، ووجد نفسه يتطلع إليها فى حيرة ما لبثت أن انقلبت ارتباكًا من قوة نظرتها فى عينيه انتظارًا لجوابه ، ولم ينقذه منها سوى رنين جرس الشقة فجأة ، والذى جعل (ريم) تنتفض واقفة وهى تهتف بابتهاج :

– مؤكد ماما .

وفتحت باب الشقة لتتسمر فى مكانها مغمغمة بدهشة وصدمة وهى تحدق فى وجه الزائر :

– دكتور (جهاد) !!

وابتسم (جهاد) ، ونظر فى ساعة يده قائلاً :

– الساعة الآن تقترب من الواحدة ظهرًا ، فهل أقول صباح الخير أم مساء الخير ؟

وجاءه جوابها بدهشتها وصدمتها :

ـ أهلاً دكتور (جهاد) .

وجاءها سؤال (جهاد) التالى :

ـ ماذا ؟! هل من عاداتكم أن تتركوا ضيوفكم واقفين بالباب هكذا ؟

وجاءه الجواب هذه المرة من (شادى) وهو يقبل عليه بدهشة وصدمة لا تقلان عن دهشة وصدمة زوجته :

ـ لا طبعًا يا دكتور .. تفضل .

وصافحه (شادى) مرحبًا به :

ـ أهلاً وسهلاً يا دكتور (جهاد) .. تفضل ..

ومضى به (شادى) ، بينما (ريم) تغلق باب الشقة وهى تلاحقه بنظراتها المدموغة بدهشتها وعدم ارتياحها ، وأجلسه (شادى) بكنبة الأنتريه المتواضعة التى تتصدر الريسبشن الصغير ، وجلس هو بالمقعد الذى على يمينه ، ولحقت بهما (ريم) ، ولكنها وقفت تتطلع إلى (جهاد) بنظراتها المتسائلة ، فما كان من (جهاد) إلا أنه سألها بابتسامة مرسومة :

ـ ماذا يا مدام !! هل أنا ضيف غير مرغوب فيه ؟

وجاءه الجواب سريعًا من (شادى) ولكن دون تبسُّم :

ـ العفو يا دكتور (جهاد) .. سيادتك شرفتنا ونورتنا .

ورفع (شادى) عينيه إلى (ريم) بنظرة تذكرها بأصول الضيافة ، فالتفتت إلى (جهاد) تسأله :

ـ ماذا تشرب يا دكتور ؟

وجاءها رد (جهاد) بابتسامته المرسومة ، وبرصانته المبالغ فيها :

ـ لا شيء يا مدام .. ورجاء ألا تعاملانى كضيف .

جلست (ريم) بالمقعـد المجاور لـ (شادى) ، وعاد (شادى) يرحب به :

ـ نورت بيتنا المتواضع يا دكتور .

لم يرد (جهاد) التحية ، بل وضع ساقًا فوق ساق بطريقة فيها الكثير من الخيلاء ، ثم أخرج سيجارًا كوبيًا فاخرًا من جيب حُلته الداخلى ، وراح يشعله بتأن ، ثم نظر إلى (ريم) و(شادى) قائلاً بطريقة جاهد فيها كثيرًا كى يبدو متواضعًا ودودًا :

ـ كما أرى .. عيونكما يملؤها التساؤل عن سبب مجيئى خلفكما بهذا التعجل الذى أنسانى حتى الاتصال بكما مسبقًا .

ـ وهل حضرتك معك رقم تليفون لنا كى نتصل بنا ؟!

هكذا جاءه سؤال (ريم) سريعًا وبدهشـــة ، فكان جوابه بابتسامته المرسومة الجافة :

ـ وهل نسيتى حضرتك أنكما سجلتما بيانات (شادى) كاملة بما فيها العنوان والتليفون فى استقبال المستشفى .

ـ آه .. نسيت ..

قالتها (ريم) باستهجان واضح دفع (جهاد) لأن يرمقها بنظرة تهكم ولكنه ما كاد يفعل حتى وجد عينيه تتوقفان عليها بنظرة مغايرة تماماً ..

نظرة سطعت افتتاناً وانبهاراً ، وجلبت إلى قلبه شعوراً ساخناً لذيذاً الشعور بالافتتان فى قمته !! فقد كانت (ريم) ترتدى استرتشاً يلتصق بساقيها التصاقاً ، وبادى أبيض أكثر التصاقاً بجسدها الإسترتش ، وكان شعرها الكستنائى المموج يتهدل على كتفيها وظهرها بتحرر مثير ، وكان وجهها يبدو كبدر أطل على بستان من التفاح الأحمر فتشرب بحمرته حتى الشبق ، وكانت تجلس واضعة ساقاً فوق ساق خيلاء يفوق خيلاء الملوك ، فأشتعلت فتنة ساقيها ، بل فتنتها كلها ، وكأنها ملكة أنوثة الكون تتبوأ عرشها بزهو متناه ، منتشية بفتنتها واثقة فى سحرها ، مدركة كل الإدراك أنه لم يُخلق بعد القلب ولا العقل ولا العين التى تستطيع مقاومة تأثيرها ، وهو ما جعل الطبيب المعجب بالعنجهية يحدث نفسه قائلاً « كان عندك حق فى المجىء طيراناً يا كنج » وانسابت ابتسامة رقيقة على شفتيه ، وهو يسارع بإنزال ساقه من فوق الأخرى ، والتفت إلى (شادى) قائلاً بحميمية وخجل مصطنعين ، ولكنه فى غاية الإتقان :

ـ (شادى) .. دعنى أخبرك أولاً أنت والمدام بأن الذى جاء بى بهذه السرعة هو إدراكى لخطئى الذى لا أفهم كيف ارتكبته ، وكيف أنك صديق طفولتى وصباى الذى لم أره منذ ما يزيد على العشرين عاماً

وكيف تبدلت فرحتى بلقائك بعد كل هذا الفراق بقلة ذوقى على هذا النحو .. إننى طوال الطريق أحاول أن أفهم وأصل إلى تفسير لسلوكى هذا ، ولم أصل إلاّ إلى شىء واحد ، وهو أننى كنت فى غاية قلة الذوق معكما ، لذلك جئت خلفكما مسرعًا لأعتذر .

ـ تعتذر ؟!

انفلتت الكلمة من (ريم) بمرارة متناهية ودهشة ، وكان رد (جهاد) بخجل مصطنع :

ـ نعم يا ست الكل .. جئت لأعتذر .

ـ ولماذا تأتى على نفسك هكذا ؟

ـ لك حق يا ست الكل .. لك كل الحق فى أن تسخرى منى وتغضبى ، بل وتهينينى إذا ما كان هذا يريحك ..

وأطرق بعينيه إلى الأرض فى خجل وانكسار يوخز القلب ، ولم يستطع أى من (شادى) أو (ريم) أن يدرك أنه يُمثل عليهما إلى الحد الذى دفع (شادى) إلى الإسراع بإجابته قائلاً بمنتهى السماح :

ـ لا يا دكتور (جهاد) .. العفو .. ما عاش ولا كان من يهينك .

وجاءه رد (جهاد) بخجله التمثيلى :

ـ مرسيه يا (شادى) مرسيه يا حبيبى .

والتفت إلى (ريم) مردفًا بأدب جم :

ـ المهم ست الكل ، فهي إن لم تسامحني فسأظل أدعو الله أن
تسامحني حتى يحدث .

وفوجئت (ريم) ، وأسرعت تجيبه بمنتهى الطيبة :

ـ بعد الشر .. بعد الشر عليك يا دكتور (جهاد) .

ـ أفهم من هذا أن حضرتك سامحتيني ؟

ـ طبعًا سامحتك .

ـ من قلبك ؟

ـ من قلبي .

قالتها بابتسامة حلوة ، وما كادت تفعل حتى فوجئت به يقفز من مقعده
مختطفًا يدها ، طابعًا عليها قبلة شكر محمومة بالفرحة ، حتى بدا كعصفور
حاز على مليكته من بعد يأس مهلك ، فطار صوابه من الفرحة ..

وضربت الدهشة (ريم) وأسرعت تنظر إلى (شادي) فإذا به يضحك
ملء شدقيه قائلاً لها :

ـ هذا هو (جهاد) .. إما طاووس منفوخ أو ممثل حكاية !!

●

* * *

الفصل الرابع

أمام الدكتور (أرنست رياض) كبير أطباء المخ والأعصاب بمستشفى « ابن الرومى » جلس الدكتور (جهاد) و(شادى) و(ريم) وقد تعلقت عيون الأخيرين بالطبيب العجوز وهو يتفحّص أشعة مخ (شادى) بتركيز متناه ، حتى إذا ما فرغ منها وضعها أمامه فوق المكتب ، وأطرق بعينيه فوقها بأسى ودون تعليق ، مما جعل الزوجين يتبادلان نظرة قلق ، التفتت بعدها (ريم) إلى الدكتور (أرنست) تسأله بهدوء مشحون بقلقها :

– خير يا دكتور ؟

رفع الطبيب وجهه متطلعًا إليها بنظرة الأسى التى تملأ عينيه ، ثم وجد نفسه يلتفت إلى (شادى) قائلاً بهدوء جليل :

– أستاذ (شادى) .. أتسمح لى بالمصارحة فى الحديث ؟

وجاءه رد (شادى) متوجسًا :

– طبعًا يا دكتور .. تفضل .

تطلع إليه الطبيب بنظرة مشفقة ، وجد نفسه بعدها يقول له :

– أنت عندك مشكلة فى المخ .

فوجئ (شادى) :

– مشكلة فى المخ ؟!

www.riwaya.ga

ـ نعـم .

ـ أية مشكلة يا دكتور ؟

تريث الطبيب لوهلة ، ثم جاء جوابه :

ـ تجمع صديدى على المخ ؟!

انفلتت من (شادى) بجزع ، والتفت إلى (ريم) سريعًا بجزع فاندفعت هى تسأل الطبيب بقلق :

ـ معذرة يا دكتور .. ممكن سيادتك توضح لنا الأمر ؟

ـ طبعًا .

وأرسل الطبيب الجليل بنظرة رقيقة إلى الدكتور (جهاد) يطلبه بـ بالإصغاء معهما ، ثم راح يشرح الأمر بهدوئه الراقى :

ـ من المؤكد أننـا جميعًا أو أحدنا على الأقـل سبق له أن شاه « خُرّاج » يظهر فى جسم إنسان .. فى يده فى ساقه .. فى أية منطقة م الجسم .

أسرعت (ريم) تقول :

ـ حدث هـذا معى وأنا فى الثامنة عشر من عمـرى .. ظهـر لى « خُرّاج » فى صدرى ، وفتحه لى طبيب جراح وقام بتصفيته .

وكان رد الدكتور (أرنست) عليها :

ـ برافو مدام (ريم) .. هذا هو الخُرّاج الذى أعنيه .

وعاد يوجه حديثه إلى الثلاثة معًا :

ـ وهذا الخُرّاج ما هو إلا تجمع صديدى ينتج عن التهابات ما فى جسم الإنسان ، وعلاجه الوحيد هو ما فعله الجراح مع مدام (ريم) .. فتحه وتصفيته وتجفيفه بالمضادات الحيوية المناسبة ..

وأمسك الطبيب عن الحديث لوهلة ، ارتد خلالها إليه إحساسه بالأسى ، ثم عاد يواصل حديثه قائلاً :

ـ ولكن المشكلة هنا ـ أقصد فى حالة الأستاذ (شادى) ـ أن هذا التجمع الصديدى جاء فى مكان خطير .. فى المخ .. وهو ما يجعل التعامل معه محفوفًا بقـدر كبيـر من الخطورة .. الخطورة على حياة المريض ، أو فى الآثار التى قد تترتب على العملية فى حالة عدم نجاحها بنسبة مائة فى المائة ..

هكذا شرح الطبيب المخضرم الأمر لهم ، فكانت الصدمة المريعة التى ضربت الزوجين .. صدمة أسقطتهم فى التو واللحظة فى كابوس أسود مفزع .. كابوس غشاهم سواداً حالكًا فلم يستطعا فعلاً أو قولاً ، وكل ما استطاعاه هـو أن تعلقت عيونهما ببعضهما فى فـزع وذهول ، ولم يعد هناك سوى الصمت المقبض الذى أطبق على الجميع حتى قطعه الدكتور (جهاد) فجأة قائلاً للزوجين الذاهلين :

ــ ماذا ؟! ماذا يا عم (شادى) ؟! ماذا يا مدام (ريم) ؟! لماذا الأمر دراما هنـــدية هكذا ؟! يـبـدو أن مغــزى حديث أستاذنا الدكتور (أرنست) لم يصلكما .

ونظر إلى الدكتور (أرنست رياض) ، وأردف قائلاً لهما :

ــ أستاذنا الدكتور (أرنست) يعنى بكلامه أن هذه الجراحة تحتاج إلى طبيب كبير مثل سيادته ، ولا يصح المغامرة بها مع طبيب شبل مثلى .

وكان رد الدكتور (أرنست) بتواضع العلماء الجميل :

ــ العفو يا دكتور (جهاد) .

ثم التفت إلى (شادى) قائلاً بنبرته الهادئة المشفقة :

ــ بقى أن أخبرك يا أستاذ (شادى) بأنه يجب إجراء هذه الجراحة قبل أن ينفجر « الخُرّاج » ، ويصيب المخ بتسمم يؤدى حتمًا إلى الوفاة .

ــ الوفاة ؟!!!

انفلتت الهتفة من (ريم) بفزع شق قلبها ، وأسرعت تنظر إلى (شادى) فإذا بعينيه متحجرتين على وجه الدكتور (أرنست) ، ووجهه جامدًا باهتًا وكأنه مات فعلاً فى مقعده ، فعادت تلتفت بسرعة إلى الطبيب العجوز بنظرة تصرخ بالرجاء ، وكأنها تتوسل إليه أن يعدل عما قال ، فكان الطبيب أن هرب بعينيه الحزينتين إلى الأشعة المستقرة أمامه فوق المكتب

لم يبق أمامها سوى الدكتور (جهاد) .. أسرعت تلتفت إليه بنظرتها المتوسلة ، فإذا به هو أيضًا يهرب بعينيه منها .. انفلتت هتافتها بكل ما فى قلبها من فزع :

ـ دكتور (جهاد) ؟!

رفع عينيه إليها مجيبها باضطراب وحيرة :

ـ نعم يا مدام (ريم) .

ـ قل شيئًا يا دكتور (جهاد) ! قل شيئًا !

همّ الدكتور (جهاد) بأن يجيبها بشىء ، ولكنه تراجع وراح يحدق فى الأرض باضطرابه وحيرته ، فأخذها الغيظ من تصرفه لوهلة ، أسرعت بعدها تلتفت إلى الدكتور (أرنست) وتسأله بعصبية مكتومة :

ـ هل يمكن لحضرتك أن تجرى هذه الجراحة لـ (شادى) يا دكتور (أرنست) ؟

وكان رد الدكتور (أرنست) بوقاره :

ـ كنا تحت أمركما يا هانم .

ـ متى ؟

ـ غدًا لو شئتما .

مضت تحدجه بنظراتها العصبية لوهلة ، ثم كان سؤالها له :

ـ وكم تتكلف يا دكتور ؟

ـ يمكنك معرفة هذا من إدارة المستشفى .. أو من الدكتور (جهاد).

التفتت إلى الدكتور (جهاد) تسأله بغيظها منه :

ـ كم يا دكتور (جهاد) ؟

ثم يرفع الدكتور (جهاد) عينيه عـن الأرض ، ولم ينبس ببنت شفة لتزداد غيظًا منه وهى تهتف به :

ـ دكتور (جهاد) ؟!

رفع عينيه إليها فإذا به مضطربًا حائرًا :

ـ نعم يا مدام (ريم) .

ـ كم تتكلف هذه الجراحة ؟

تتطلع إليها باضطرابه وحيرته ، ثم كان جوابه فى حرج :

ـ مليون جنيه ؟

ـ ماذا ؟!!

هتفت بها مصعوقة ، وأردفت بصدمتها :

ـ مليون جنيه ؟!!

ـ نعم يا مدام (ريم) .. نصف مليون أتعـاب الدكتور (أرنست) وفريقه الطبى ، والنصـف الآخـر تكاليف الإقامة بالمستشفى والعلاج والإشراف الطبى .

كادت تسقط فاقدة الوعى من الصدمة لولا أن خاطرًا أسرع يمنعها من ذلك ، وهو أن انهيارها سيعجل بانهيار (شادى) ، وربما قضى عليه ..

أسرعت تمسك بيـده وهـو غارق فى ذهوله ، ثم التفتت إلى الطبيبين تسألهما وهى تكابد ذهولها الذى يكاد يسحق عقلها :

ـ ومن لا يملك مثل هذا المبلغ ولا أى قدر منه ماذا يفعل ؟!

لم يجبها أحد من الطبيبين ، فازدادت ذهولاً ، ووجدت نفسها تهتف فى الدكتور (جهاد) :

ـ دكتور (جهاد) .. ألست مالك المستشفى ؟!

ـ أنا ابن مالك المستشفى الله يرحمه ، ومعى أربعة أشقاء جميعهم أطباء هنا فى المستشفى ، والمستشفى يديره مجلس إدارة يرأسه شقيقى الأكبر الدكتور (زهير الرومى) ، وما أنا سوى عضو فى مجلس إدارته .

وأسقط فى يد (ريم) ، ووجدت نفسها تلتفت إلى (شادى) ، فإذا به فى عالم آخر بجموده فى مقعده ، ببهوت وجهه ، بذهول نظراته المسافرة بعيدًا فى عمق المجهول ، وكأنه بدأ رحلته نحو الموت ، ولم يعد يملك سبيلاً للرجوع .. زعق قلبها فزعًا وارتياعًا .. وجدت نفسها تصرخ فى الطبيبين بقلق ذاهل مرتاع وأعصاب تلتهمها نار الفجيعة :

– كيف ؟! كيف هـذا يا أطبـاء « مصر » ؟!! مريض يموت داخل مستشفى بهذا الحجم ، وبهذه الإمكانيات ، وبين أيدى طبيبين بمقدروهما إنقاذ حياته فقط لأنه مريض فقير ؟!! مريض مصرى يموت فقط لأنه فقير داخل مستشفى مصرى وبين أيدى أطباء مصريين تعلموا وتدربوا ، وصاروا أطباء بضرائب انتزعت من قوت كل المصريين فقيرهم قبل غنيهم ؟!! لعنة الله على الجاحدين من أولادك يا « مصر » .. لعنة الله على الجاحدين من أولادك .

* * *

الفصل الخامس

فى أول مقعد أنتريه صادفه فى الريسبشن تهالك (شادى) جالسًا فى إعياء وغم ، بينما أغلقت (ريم) باب الشقة ، ولحقت به .. كان من الواضح أن ذهول (شادى) ما زال قابضًا على عقله وحواسه ، وأن صدمته تفترسه بلا هوادة ، حتى أنه لم يشعر بـ (ريم) وهى تنحنى عليه ممسكة بيديه ، وقائلة له فى حنو :

– حبيبى .. لماذا جلست هنا ؟ هيا معى إلى الفراش .

ولم يحرك حبيبها ساكنًا ، فأردفت هى قائلة بحنوها ، وهى تهز يديه برفق :

– (شادى) حبيبى .

انتبه إليها ، وأجابها بغمه :

– نعم يا (ريم) .

– هيا يا حبيبى لتُبدّل ثيابك هذه وتستريح .

طفحت سخريته على وجهه :

– أستريح ؟! ومن أين تأتينى الراحة ؟!

جثت على ركبتيها أمامه دون أن تترك يديه :

– من إيمانك برحمة ربنا يا حبيبى .

لم يتمالك اختناقه :

– (ريم) .. أرجوكي .. ليس هذا وقت مواعظ .

– يا حبيبي كل عقدة ولها حل .

– وهل عقدتي هذه لها حل ؟.. يا (ريم) .. يا (ريم) عقدتي الـ
مليون جنيهًا .. مليون جنيهًا خلال أيام معدودة أو أموت .. مليون جنـ
وأنا لا أملك ألف جنيه .. فهل هذه عقدة لها حل ؟ هل لديك لها حل ؟

لم تملك (ريم) ردًا ، فأردف هو بكل مرارته :

– أنا أملك لها حلاً .. أتعرفين ما هو ؟ أن أغلق حجرتي عليّ ، وأطفـ
أنوارها تمامًا ، وأتمدد في فراشي منتظرًا ملاك الموت الذي يحلق نحو
الآن بأقصى سرعته ..

ضرب الفزع قلب (ريم) ، وأسرعت تهتف به مصعوقة :

– لا .. لا يا (شادي) يا حبيبي .. لا تدخل بنا في هذه السكة .. سكـ
اليأس ، فهي نفق مظلم ملعون أشد هلاكًا للإنسان من الموت نفسه .. تقـ
الدخول فيه يغضب الله ؟

أطرق (شادي) مستغفرًا ربه ، فأسرعت هي تردف قائلة :

– نعم هكذا يا (شادي) يا حبيبي .. انتبه لنفسك ، ولا تدع الشيطا
يعميك عن رحمة ربنا .. وكل المولى عز وجل في أمرك ، وثق في قدرتـ
ورحمته ، فإذا ما فعلت تأكد أنه سيدركك بحل يطرق بابك ، هذا الذي تريـ

ن نفقه على نفسك ، وبأسرع مما تتخيل .. كيف سيحدث هذا ؟ لا شأن
ك .. إنه شأن من يقول للشىء كن فيكون .. أم تراك لا تؤمن بقدرته هذه ؟

سرع يردد بخشوع :

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .

وسرى الاطمئنان فى قلبه ، ولانت أعصابه المشدودة . فمالت الزوجة الأصيلة طابعة قبلة على يده ، عادت بعدها تقول له بحنوها :

ـ هيا يا حبيبى .. هيا بدّل ثيابك ، واسترح فى فراشك حتى أعد الغداء .

وانسابت على شفتيها ابتسامتها الحلوة وهى تداعبه بخفة ظل ساحرة :

ـ هيا يا حبيبى .. هيـــا لأن حبيبتك جاعت ، وأنت تعــرف أنه حين يفرسنى الجوع ألتهم أى شىء يقع بين يدى .

ورفعت يده قرب فكيها مردفة :

ـ هيا يا بطل .. أتنهض أم أفعلها ؟

وأنهضته برفق ماضية به إلى الفراش .

* * *

لحظات المحن المستحيلة الحلول هى للإنسان المنكوب لحظات شوائه بنار جهنمية لا ترحم .. لحظات بطيئة لا تكاد تتحرك إمعانًا فى تعذيب فريستها ، وخاصة إذا ما استسلمت لها الفريسة ، وهو ما فعله (شادى) .. سكن فى فراشه معزولاً تمامًا عن الحياة ودورتها ، فلم يعد يعرف ليله من

نهاره ، أو يومه من أمسه ، ولم يعد به سوى سكون وذهول واستسلام وكأنه حى بالاسم فقط ، بينما هو فى حقيقته ميت وشايع موت ..

أما (ريم) فقد أسرعت تنفض عنها غشاوة العصبية ، وتعتصر مخها بحثًا عن حل حتى هداها إلى فكرة رهن منزل والديها لدى أحد البنوك وأسرعت بفكرتها إلى والديها ، وكان رد والدها بأنهما ليس لديهما مانع ولكن منزل من أربعة طوابق فى حى شعبى لن يأتى بأكثر من مائتى ألف جنيه ، وأسقط فى يد الفتاة ، ولكنها سرعان ما استردت عزيمتها وانطلقت إلى ابن عمها (خالد) المحاسب فى البنك الأهلى تسأله عن إمكانية حصولهما على قرض بمليون جنيه على أن يساعدها هو فى تدبير الضمانات المطلوبة على الورق فقط كما يفعل رجال الأعمال أو الحيتان المعروفة ، فكان رده عليها وهو يضحك من سذاجتها أن هذا يحدث فقط مع الحيتان ، ولكنها هى وأمثالها ليسوا سوى نمل .. نمل لا ينتظره فى أماكن نهب الملايين سوى المبيدات الحشرية لإبادتهم بها ، وأطرق الشاب فى مرارة ، بينما طفح السخط على وجه (ريم) للحظة ، همت بعدها بأن تنهض منصرفة ، فإذا به يستوقفها قائلاً بسرعة :

ـ هناك حل ..

التفتت إليه بملتهى اللهفة ، فأردف قائلاً فى تردد :

ـ ولكن أرجو ألا تريننه منحطاً .

هتفت به بلهفتها :

ـ تكلم يا (خالد) .. ما هو ؟

ـ الجمعيات الخيرية .

لطفاً أملها وهى تردد بخيبة أمل :

ـ الجمعيات الخيرية ؟ الجمعيات الخيرية ستمنحنا مليون جنيه ؟

ـ إنه دورها أن تنقذ المحتاجين .

وأسرع مستدركًا ومعتذرًا :

ـ أنا آسف .

ـ آسف على ماذا يا (خالد) ؟ نحن أكثر من محتاجين فى هذا الموقف .

ـ إذن فلنحاول .

وأسرع يدوّن بضع كلمات على ظهر كارت شخصى ، ثم ناوله لها قائلاً :

ـ خذى هذا الكارت إلى مدير جمعية « مصر الخير » .. إنها فى نهاية هذا الشارع ، وربنا يقدم ما فيه الخير .

ـ يا رب ..

وصافحته بمنتهى الامتنان :

ـ متشكرة جدًا يا (خالد) .

ـ اذهبى بسرعة وطمأنينى .

ـ حاضر .

وانطلقت الفتاة بلهفتها وبأملها فى المولى عز وجل ، وفى تلقائية
تجلس أمام مدير الجمعية الستينى العمر ، وانطلقت تشرح له الموقف
والرجاء يسيل من كل كلمة تنطق بها ، بينما الرجل الوقور يصغى إليها
بتأثر ، حتى إذا ما فرغت من روايتها أطرق غارقاً فى تأثره لوهلة ، ثم
بعدها إلى تلال من الملفات مستندة إلى الجدار الأيسر له ، وتكاد تبلغ سقف
الحجرة ، وأشار إليها قائلاً بتأثره :

ـ انظرى يا مدام (ريم) .. كل هذه الملفات لحالات إنسانية متعددة
تحتاج إلى غوث عاجل ، وبعضها يفـوق مأسـاة زوج حضرتك تعقيداً
وخطورة ، ويحتاج إلى الغوث اليوم قبل الغد ، ولكن للأسف إمكانيات
الجمعية لا تسعفنا ، وهو ما يجعلنا نُلح على القادرين بالإسراع بتقديم
التبرعات من خلال حملاتنا الإعلانية المكثفة والمُلحـة فى كافة وسائل
الإعلام ، ونحن ندعو الرحمن أن يحنن قلوبهم على إخوانهم المبتلين .

* * *

وانصرفت المسكينة بحسرتها وخيبة أملها .. مضت فى الشوارع تنثر
دموع العجز ، صرخات السخط والذهول بداخلها تكاد تشق محيط الكون -
لماذا تفعلين هـذا يا دنيا بالمستضعفين فيـك ؟! لماذا تنكلين بهم بهذه
القسوة ؟! لماذا لا تتركينهم فى حالهم بالقليل الذى رضوا به ؟! لماذا
تلتهمينه منهم ؟! هل أنت منزوعة الإحساس والرحمة إلى هذا الحد ؟! هل
ترتوين بظلمك لخلق الله ؟! هل أنت الظلم نفسه ؟! ما أنت ؟!

ومضت المسكينة بدموعها وصراخها الدفين الذى يوشك أن يمزق ضلوعها ، حتى أنها لم تنتبه إلى السيارات التى كادت تدهسها لأكثر من مرة وهى تعبر الطرق ، ولم تسمع سباب قائديها لها فى كل مرة ، حتى التقطتها إحدى السيدات من أمام إحدى السيارات ، وأجلستها برفق فوق حافة رصيف الشارع ، وانصرفت ، لترفع المسكينة وجهها نحو السماء ، منادية ربها بالدموع ومن أعماق قلبها :

ـ أنت المغيث يا رب .. أنت المغيـث .. أدركنى برحمتـك .. أدرك مخلوقة ضعيفة فى محنة ، ونجدتها فى يدك أنت وحدك يا رب .. يا رب .

واتكفأت بوجهها على يديها منخرطة فى البكاء ، غير مدركة أنها فى الشارع ، وغير منتبهة للمارة الذين يمرون بها ، يرمقونها بنظرة دهشة أو تساؤل أو استنكار ، ودون أن يخطر ببال أحدهم التوقف لها وسؤالها عما بها ، حتى انتبهت لصوت حثالة من حثالات الشوارع وقد وقف على رأسها ، يسكب عليها قرفه :

ـ ما هذا ؟! ما هذا ؟! ما هذا ؟! حمامة تبكى على الرصيف ؟! لماذا ؟! ومن هذا عديم القلب الذى كسر لك جناحك يا زينة الحمام ؟!

رفعت وجهها من فـوق يديها ، فإذا بثلاثة شـبـاب يحيطون بها ومن خلفهم سيارتهم الملاكى .. تطلعت إليهم بخـوف وتساؤل ، بينما الثانى يسألها :

ـ لماذا تجلسين هكذا ؟ وما هذا البكاء ؟ من عضك ؟

وجاءه الجواب من صاحبه الثالث :

ـ مؤكد الباشا زوجها .. باشا بيئة فعلاً .. كيف يرمى قطعة ملبن بهذه

الحلاوة فى الشارع هكذا ؟

وجاءه الجواب من الأول :

ـ ربما شبع من الملبن ، ويريد أن يغير .

وإذا به يمسك بمعصمها مردفًا لها بوقاحته المقززة :

ـ دعكِ منه وهيًا معنا .. نحن نموت فى الملبن وحلاوة الملبن .

هنا انتفضت (ريم) من صدمتها واقفة ، ودوّت صرختها الشجاعة فى

وجهه وهى تنتشل معصمها من قبضته :

ـ دع يــدى يا حيــوان .. غوروا فى داهيــة يا حيــوانات يا أولاد

الكلب .

وكان رد الحيوانات الثلاثة وهم يهمون بحملها عنوة إلى السيارة :

ـ نحن ولاد الكلب يا بنت الـ ......

وكادوا يقذفون بها داخــل السيارة ، وإذا بأعيرة نارية متلاحقة تدوى

فى الهواء من مسدس شــاب انشقت عنه الجموع التى تجمهرت لتفرج

فقط ، وكأنها تستمتع بمشهد مثير فى فيلم سينمائى رخيص ، ولم يكن هذا الشاب سوى الدكتور (جهاد) ، والذى أسرع يلتقط (ريم) بعدما تركها الشباب الثلاثة فارين بسيارتهم .

* * *

الفصل السادس

تطلق (جهاد) بـ (ريم) صوب منزلها ، وطوال الطريق لم ينبس أحدهما ببنت شفة .. غرقت (ريم) فى ذهول مطبق غشى كل حواسها حتى أنها لم تعد تشعر بوجود (جهاد) إلى جوارها منطلقاً بسيارته الـ « بى إم » الأحدث موديل ، بينما أدرك (جهاد) أنها الآن غير مؤهلة لسماع أى حديث ، فآثر الصمت وهو يرمقها بنظرة أسى من لحظة لأخرى حتى بلغا المنزل ، وفوجئ (شادى) بحالة (ريم) البادية على وجهها وبرفقة (جهاد) لها ، وبادرهما بسؤاله فى قلق وإعياء :

www.riwaya.ga

– ماذا هناك ؟!

وأسرعت (ريم) تنتشل نفسها مـــن ذهولها وغمها ، وتجيبه وهى تجلسه بكنبة الأنتريه فى حنو :

– لا شىء يا حبيبى .. لا شىء .

والتفتت إلى (جهاد) تدعوه إلى الجلوس :

– تفضل يا دكتور (جهاد) .. تفضل .

وجلس (جهاد) وجلست هى إلى جوار (شادى) قائلة له وهى تحتضن يده بيديها فى حنو :

– الدكتور (جهاد) قابلنى بالصدفة ، وأصر على اصطحابى إلى هنا .

التفت (شادى) إلى (جهاد) قائلاً بشىء من الفتور :

ـ فيك الخير يا دكتور .

وكان رد (جهاد) بابتسامة صغيرة :

ـ ما « دكتور » هذه يا عم (شادى) .. ألسنا أصدقاء ؟

انسابت فوق شفتى (شادى) ابتسامة مرارة ، بينما أخرج (جهاد) سيجارًا من جيبه ، وراح يشعله بتأن ، ثم عاد ينظر إلى (شادى) قائلاً برفق :

ـ اسـمع يا صـديقى .. أولاً أنا لم آت إلى هنـا لاصطحاب مدام (ريم) كمـا ذكـرت ، بل إننى كنـت قادمًا إليك ، سـواء كنت التقيتها أم لا .

فوجئ (شادى) و(ريم) وأسرعا يتبادلان نظرة دهشة ، التفت بعدها (شادى) إلى (جهاد) قائلاً بدهشته :

ـ حضرتك تشرف فى أى وقت يا دكتور .. البيت بيتك .

ـ وهذا هو ما أتى بى .. إنه بيتى ، وأنك صديقى .

وراح يأخذ نفسًا من السيجار ، بينما (ريم) ترمقه بنظرة فاحصة ، وجدت نفسها بعدها تسأله بجدية :

ـ دكتور (جهاد) .. يُخيل إلى أنك تريد أن تخبرنا بشىء ما .

ـ نعم يا ست الكل .

ـ خير يا دكتور .

وللمرة الثالثة عـاد (جهاد) يأخذ نفسا متأنيا من السيجار ، ثم نظر إليهما قائلاً بهدوئه :

ـ بعد غد تكونان فى المستشفى من الثامنة صباحا .

انتفض قلبا الزوجين ، وشخصـت عيونهما محدقة فى الطبيب لتسأله بتساؤل محموم ، وكان جواب الطبيب .

ـ نعم .. بعد غد سيدخل (شادى) باشا غرفة العمليات وسيخرج منها حصاناً .

وقفز سؤال (ريم) بانفعال جنونى :

ـ وتكاليف العملية ؟!

ـ ستتحملها الدولة كاملة .

ـ كيف ؟!

ـ بطريقتنا .

ـ ولكنك تقول : إن العملية ستُجرى بعد غد ، فأين الوقت لذلك ؟!

ـ ستُجرى العملية أولاً ، وحق المستشفى مضمون فى أى وقت .

وكاد قلبا الزوجين الشابين يتوقفان عن النبض ، وهما يتطلعان إلى بعضهما بانفعال هيستيرى ، ووجدت (ريم) نفسها تلتفت إلى (جهاد) تسأله بذهولها :

ـ دكتور (جهاد) .. حضرتك تتكلم جد ؟!

وكان رد (جهاد) بابتسامة مشفقة :

ـ وهل هذا موقف يحتمل المزاح يا مدام (ريم) ؟!

وقفز الزوجان الشابان فى حضن بعضهما متصايحين بفرحة هيستيرية تكاد تذهب بعقليهما .

* * *

ونجحت العملية ......

وخرج (شادى) من غرفة العمليات وقد تخلص من علته المميتة التى كادت تقضى عليه ، ولكن الأمر احتاج إلى ما يزيد على الثلاثة أشهر من الرعاية الطبية والشخصية ما بين المستشفى والمنزل .. فى المستشفى غمره الدكتور (جهاد) برعايته تحت إشراف أستاذه الدكتور (أرنست) ، ولم تفارقه (ريم) للحظة ، فقد سجلتها إدارة المستشفى كمرافقة له بتكلفة مضافة ، وحينما غادر المستشفى إلى فراشه بالمنزل لم تنقطع أو تقل رعاية الدكتور (جهـاد) له ، فيوميًا كـان يزوره ويطمئن عليـه ، أما (ريم) فقد ازدادت التصاقًا به ليل نهار ، ولم تعد تذوق للنوم طعمًا إلا إذا غلبها النعاس للحظات وهى تجلس إلى جواره فى الفراش حتى شحب وجهها ، ونحف جسدها ، وصارت مثار شفقة والديها وحماتها وكافة الأقارب والأصدقاء ، فقد شاهدوا جميعًا كيف تجلس إلى جواره على أعصابها رهنًا لإشارته ، وكيف أن إشارة صغيرة من عينيه تدفعها للقفز

فورًا لتلبية حاجته ، ولم يكن هذا بشيء مقارنة بحنانها الذى غمرته به حنانًا جارفًا صادقًا من قلب عاشق مخلص زادته المحنة حبًا وعشقًا وإخلاصًا ، حتى تعافى الزوج الشاب المحظوظ تمامًا ، وكان أن ضمت زوجته المدهشة إلى صدره ، وراح يعتصرها فى حضنه بهدير جارف من الحب والامتنان .

ـ ملاكى .. ملاكى الرائع الذى لا أكاد أصدق وجوده فى حضنى .. لقد وهبتينى ميلادًا جديدًا ، ومن هذه اللحظة أنا وحياتى ملك خالص لك ولو كان بيدى لأثبت ذلك فى عقد موثق .

والتفت إلى (جهاد) قائلاً بكل ما يملك من امتنان :

ـ لقد أحببت محنتى لأنها وهبتنى صديقًا رائعًا ، أدعو الله ألا يتخلى علينا فراقًا أبدًا .

وأخذ صديقه فى حضنه بامتنانه الذى يفوق فرحته بشفائه .

★ ★ ★

الفصل السابع

فرغ (شادى) من مكالمته فى الموبايل ، والتفت إلى (ريم) قائلاً بسرور واضح :

ـ الدكتور يدعونا إلى العشاء غدًا فى « الفور سيزون » .

وكان سؤالها وهى تجلس إلى الـ « نت » فى ركن الريسبشن مواصلة قراءة رواية « دموع السماء » من سلسلة روايات « زهور » :

ـ دكتور من ؟

ـ وهل صار فى حياتنا دكتور غيره ؟ دكتور (جهاد) طبعًا .

شىء ما استفزها فى جواب (شادى) وفى لهجته .. توقفت عن القراءة ، والتفتت إليه متسائلة بجدية :

ـ بمناسبة ؟

ـ احتفالاً بنجاح العملية .

ـ آه ..... وبمَ أجبته ؟

ـ وافقت طبعًا .

ـ دون أن تسألنى رأيى ؟!

ـ وهل لك رأى آخر ؟

نهضت واقفة ، ودنت منه بهدوء حتى وقفت أمامه تتأمله بنظرة عميقة بينما أردف هو :

ـ حبيبتى .. دين الرجل الذى فى رقبتنا جعله صديقًا .

ـ لك أنت .. صديق لك أنت .

قذفته بها بحسم أصابه بالدهشة والارتباك ، بينما غاصت هى فى مقعدها بنظرة ثاقبة ، ثم أردفت بحسمها :

ـ ثم إن الصداقة لا تصلح للمقايضة بالديون .. الصداقة شىء والدين شىء آخر .

ـ لا أفهم .

ـ الأمر ليس لوغاريتم يا (شادى) .. هناك أشياء لا تُباع ولا تُشترى ولا تصلح للمقايضة .

الدرس وصرامة اللهجة جعلا الزوج الشاب يشعر وكأنه تلميذ أبله وقع فى قبضة معلمة تمقت الغباء والأغبياء .. أسرع ينتشل نفسه من ارتباكه ويبتسم لزوجته قائلاً بارتباكه ودهشته :

ـ (ريم) حبيبتى .. ماذا هناك ؟! إنها دعوة عشاء لا أكثر ولا أقل رجل له جميل كبير فى رقبتى ، ولم يخطر ببالى أن موافقتى يمكن تضايقك .. أنا آسف .. أنا آسف جدًا يا حبيبتى ، وساعتذر له فورًا عن تلبية دعوته .

وبدا مثيراً للشفقة لشدة حرجه وارتباكه ، فلم تحتمل شعوره المؤلم ، شعرت بالخجل من نفسها لقسوتها عليه ، ووجدت نفسها تبتسم ابتسامة حنون وهى تقول له برقة :

ـ لا يا حبيبى .. لا تعتذر له .

تهلل وجهه :

ـ تعنين أنك موافقة ؟!

ـ وهل أنا مجنونة كى أرفض سهرة مثل هذه مع حبيبى ؟

انطلقت صيحته بسعادة طاغية :

ـ يعيش الحب .. يعيش .. يعيش .. يعيش ..

غردت ضحكة (ريم) ، بينما أطرق هو لوهلة ثم أردف قائلاً :

ـ لدينا مشكلة ؟

ـ الفور سيزون يضم فستان سهرة سبع نجوم لفاتنتى .

ـ لا تشغل بالك يا حبيبى ، فستان فاتنتك سيكون عشر نجوم .

وتوى صياح (شادى) يملأ الشقة كالأطفال :

ـ هيه .. هيه .. هكذا تكون الزوجات الحبيبات الفاتنات وإلا فلا .

* * *

وذهبت الزوجة الشابة ملبية الدعوة ..

وإذا بإحساس جارف بالانبهار والدهشة بجناحيها بقمة العنفوان ..
تخطو داخل لوبى « الفورسيزون » .. فقـد بدا اللوبى باتسـاعه وفخا
وأضوائه الرومانسية الحالمة وكأنه كوكب أسطورى يسبح فى البهـ
والروعة ، ولكن دهشتها وانبهارها هذين جعلاها لا تفطن إلى أمر لا
منذ أن دلفت من بوابة الفندق بين زوجها وصديقه وحتى جلوسها ينهم
إلى طاولتهم المحجوزة لهم مسبقًا بالنايت كلوب ، ألا وهو انبهار ودهـ
كل من صادفها سواء من رواد الفندق أو موظفيه بفتنتها التى تجاوزت ..
الحدود ، ولو كانت حدودًا فى خيال عابد مقدس للجمال .. فقد كا
بمكياجها وتسريحة شعرها ، وفستانها الأحمر النارى الطويل المحكم ع
عودها اليافع بتضاريسه الفائرة المخروطة بافتتان يدير العقل أشبه بمل
جمال تنثر السحر بخطاها فى مملكتها بثقة الملكات المتوجات .. وفى حـ
حلق عقل (شادى) وفؤاده وكل حواسه فى أجواء الفندق المدهشة ، ا
(جهاد) زهوًا وفخرًا برفقته لهذا الجمال الأسطورى .. جمال (ريم)
كيف لم يرها من قبـل ؟! أين كانت عينـاه ؟! هل كان أعمى ؟! كان
أول ما صاح به داخل نفسه حين وقعـت عينـاه عليها الليلة ، و
تساؤلاته هذه تجلده طوال السهرة حتى وهم يتناولون طعامهم وشرابهم
ويتجاذبون أطـراف الحديث ويتبـادلون القفشـات والضحكات ..
ظاهره مع (شادى) و(ريم) ، ولكن باطنه كله كان مع (ريم) فقط
ولكنه لم يستطع المقاومة والتظاهر الكاذب حتى النهاية .. وجد نفسه يـ

ـ (شادى) بحسد ظاهر وعيناه تحلقان على وجه (ريم) بإعجابه المتفجّر :

ـ وقعت واقفًا يا (شادى) يا صاحبى !!

انسابت على شفتى (ريم) النارينتين ابتسامة ناعسة زادتها سحرًا ملتهبًا ، بينما جاءه جواب (شادى) وهو يلوك قطعة « سكالوب باتيه » بنهم :

ـ طبعًا يا صاحبى .

وبدا جواب (شادى) بهذه الطريقة وكأنه تشجيع لصاحبه للتحرر من حرجه فى الإفصاح عما به ، فما كان من الأخير إلاّ أنه نزل بعينيه الملتونتين من وجه الزوجة الفاتنة إلى فستانها وهو يقول لها بابتسامة مشاغبة :

ـ هذا الفستان يبدو عليكى تحفة فنية يا سيدتى الرائعة .

وجاءه جواب (ريم) برقة :

ـ مرسيه يا دكتور .

بينما كان رد (شادى) بلهجة خاطفة :

ـ تشترى ؟

توقفت يد (ريم) بكوب الماء الذى كانت ترفعه نحو شفتيها ، بينما راح (جهاد) يتطلع إليه بنظرة تملؤها الدهشة وهو يسأله :

ـ أتشترى ماذا ؟!!

- الفستان طبعًا وليس المدام .

قالها بجدية وهو يواصل مضغ طعامه غير مباليًا بصدمة زوجته ، تسمرت عينا (جهاد) عليه وقد تضاعفت دهشته لوهلة ، وجد بعدها يقول له بدهشته :

- يبدو أنك مدمن بيع يا صاحبي !!

وإذا برد (شادى) بسرعة وبزهو عجيب :

- بوووووووه .. فوق ما تتصور يا صاحبي .

وشبع ، فشرب كوب ماء بأكمله ، واضطجع للخلف على ظهر المقعد وراح يأخذ نفسًا عميقًا فى نشوة متناهية بشبعه ، ثم راح يشعل سيجارًا بأريحية ، وأخذ منها نفسًا عميقًا ، وراح ينفث دخانه الكثيف فى شريط طويل ممتد أمام عينيه وهو يتأمله بنظرة سارحة بعيدًا ، ثم أردف قائلًا لهما :

- فى يوم من الأيام اصطحبنى جدى إلى حى « المناصرة » لزيارة صديق قديم له .. كنت حينها على أعتاب امتحانات الصف الأول لى فى الكلية ولكن والدتى أرغمتنى على اصطحابه لأنه كان طاعنًا فى السن وكفيفًا وفى « المناصرة » رحنا نطوف بمحلات وورش الموبليا بحثًا عن صديق جدى هذا دون جدوى ، ولكننا فوجئنا بصاحب إحدى المحلات يقدم مقعدًا لجدى ويجلسه ، ثم يستأذنه فى تأمل عصاه التى يتوكأ عليها ، فأذن له ، فراح التاجر يتأمل العصا بإعجاب طاغ يثير الدهشة ، ثم قال لجدى نفس جملة

التي وصفت بها فستان (ريم) توًا يا صاحبي « هــذه العصا تحفــة فنية يا حاج » ، وقبل أن ينطق جدى بأى تعليق كــان سؤالى للتاجر قد انطلق من فمى بمزاح « تشترى ؟ » ، وإذا بجوابه بمنتهى اللهفة والجدية « بأى ثمن بأى ثمن » ، فضحكت وضحك جدى قائلاً لى « كفى شقاوة يا (شــادى) ، وهيا بنا » ، وانصرفنا ، ومضيت بجــدى إلى مسجد « الحسين » كما طلب ، ودخلنا نصلى العصر به ، فهل تعلمان ماذا حدث ؟ قبل أن يفرغ جدى من صلاته كنت قد انطلقت بالعصا فى تاكسى إلى التاجر ، وبعتها له بمبلغ مدهش ، وعدت منطلقًا بنفس التاكسى ، ورحت أواصل الصلاة إلى جوار جدى ، وحينما فرغ مــن الصــلاة ، واكتشف اختفاء العصا ، راح يلعن لصوص المساجد ، وتوكأ علىّ عائدين إلى المنزل ، وهو يعتذر لى عما كبدنى من مشقة بتوكله علىّ ويشكرنى ، بينما أنا أجيبه بنشوة بأنه لا شكر على واجب !!!!!

وراح (شادى) يقهقه من أعماقه بإعجاب مفرط بفعلته بينما عيون (ريم) و(جهاد) جامدة عليه فى ذهول أفقدهما القدرة على التفوه بأى تعليق .

* * *

الفصل الثامـن

ولم وليال ظلت رواية (شادى) عن عصا جده محشورة في حل
عقل (ريم) .. لا هي تستطيع ابتلاعها وهضمها ، ولا هي تستطيع
ونسيانها ، وانعكس ذلك على علاقتها بـ (شادى) .. شيء من الخو
والتوتر والريبة والرهبة تسلل إليها ، وجعلها واجمة متحفظة في تعا
معه ، ولكن (شادى) لم يتركها لحالتها هذه ، راح يضحك لسذاجتها ال
ذهبت بالأمر إلى هذا المدى ، فالأمر لم يكن سوى شقاوة شاب غير
في حينها ، والشباب في هذه السن يأخذون كل الأمور بعبثية ، ول
كان قد سرد الموقف بهذه العبثية فذلك لأنه قد مضت عليه سنوا
وسنوات ، ثم إن جده نفسه قد توفى إلى رحمة الله وهو راض ع
وراح يقسم لها مراراً وتكراراً بأنه إذا ما حدث أن شاهد أحداً ما يعبث
اللحظة الآن لقطع يده دون تردد ، و .... و .... وفي النها
نجح (شادى) في إزاحة روايته المرة من حلقوم عقلها ، وأعاد
ابتسامتها ، واطمئناناتها له ..

وأما من ناحية أخرى لم تنقطع اتصالات ولا زيارات (جهاد) له
وهما يزدادان سعادة يوماً بعد يوم بصداقته وتواضعه ، حتى بدأ يستو
(ريم) أمرٌ ما من جانبه .. أمرٌ ما في سلوكه معها .. أمرٌ تفوح
رائحة لا يمكن لأنثى أن تخطئ في استشعارها .. إنه يزيد اهتمام
بشكل يخرج على الطبيعي .. أفعاله ونظراته وطريقة حديثه معها

www.riwaya.ga

تخرج على الطبيعى .. بدأت تتجاوز حدود الصداقة البريئة ، وتحركت الأنثى لديها ، وراحت تنتبه لتصرفاته حتى وقعت الواقعة التى كانت تنتظرها .. فها هو يظهر لها بسيارته الفارهة وهى فى طريقها إلى والديها ، يعرض عليها توصيلها ، فتعتذر له بأدب وتشكره ، فإذا به ينزل هو ، ويمضى إلى جوارها سيراً على الأقدام ، ويطلق عليها أسطوانة إعجاب وغزل وإغراء بوعود وردية ، وأمل فى الفوز بقلبها ، فهو الأحق بهذا اللقب ، هو فارسها الذى تستحقه ، وليس (شادى) الذى لا يصلح حتى أن يكون حصاناً من خيل الحكومة ، ثم إن (شادى) هذا رجل لا أمان له بدليل اعترافه بما فعله بجده العجوز الكفيف دون أدنى رحمة أو شفقة .. بالأمس باع العصا التى كان يتوكأ عليها جده المسكين العجوز الكفيف ، أى أن من السهل عليه اليوم أن يبيع العصا التى يتوكأ عليها هو نفسه إذا ما وجد ثمناً مغريًا لها ، وما هذه العصا سوى زوجته التى يستند عليها فى الشدائد كما حدث فى مرض مخه ، وربما لذلك فقط يحتفظ الآن بهذه الزوجة متظاهرًا بحبه لها ، فهل هذا رجل له أمان ؟ وهل تأمن زوجته على نفسها معه ؟ ثم أين حق هذه الزوجة فى الحياة ، وخاصة إذا ما كانت مثل هذا الجمال والرقى ؟! لماذا تدفن نفسها فى معيشة بائسة مع زوج فقير معدم عجز حتى عن علاج نفسه ؟! لماذا لا تكون لها حياة أفضل من ذلك ؟ لماذا لا تعيش فى فيلا فخمة ؟ لماذا لا تقود سيارة شيك ؟ لماذا لا ترتدى ثيابًا على أحدث الموضة تليق بجمالها الذى لا مثيل له ؟ لماذا لا يكون لها رصيد فى البنك ؟ لماذا لا يكـون فى حقيبتها فيزا كارت تشترى بها كل ما تشتهيه نفسها ؟ لماذا لا يكـون لها شاليه وأكثر فى

مصايف الأثرياء والمشاهير ؟ لماذا لا تسافر هنا وهناك كما تشاء بين بلاد العالم ؟ لماذا لا تحيا مثل هذه الحياة ؟ والأهم كثيرًا كثيرًا من هذا ، لماذا لا تنجب أطفالاً وتربيهم فى حياة رغدة مرفهة ، ولا تضعهم فى شقائهم بالفقر والعوز وضيق اليد ؟ لماذا لا تنعم بمثل هذا النعيم وذريتها ، وترضى لنفسها ولهم بهذه الحياة الشقية البائسة التى تعيشها والتى يكاد يكون الموت أرحم منها ؟ لماذا ؟! لماذا ؟! وهل يمكن لعاقل أن يختار جهنم بينما الجنة تفتح له أبوابها ، وتدعوه إليها ؟! هل يمكن لعاقل أن يفعل هذا بنفسه ؟! هل يمكن ؟! ومضى فى تشغيل أسطوانته وهو يزداد انفعالاً ودهشة حتى راح يزبد ويلهث ، بينما (ريم) تمضى إلى جواره مطلقة بصرها أمامها بعيدًا ، وتاركة له أذنيها يسكب فيهما كل ما يريد حتى فرغ ، وراح يتطلع إليها بنظرات ملهوفة على جوابها ، فما كان منها إلا أنها توقفت عن السير ، والتفتت إليه بهدوء متناه مثير ، وراحت تتفرسه بنظرة طويلة هادئة ، ولكنها نافذة بلغت سحيق أعماقه ثم راحت تسأله بهدوئها المثير ، دون أن تسحب نظراتها النافذة من عينيه :

– فرغت يا دكتور ؟ قلت كل ما عندك ؟

ولم تتلق منه جوابًا سوى نظراته المشحونة باللهفة ، فأردفت بنفس هدوئها :

– إذن أعطنى أذنيك ، وأصغ إلىّ جيدًا كما أصغيت إليه ... الأسطوانة المشروخة التى أتحفتنى بها تذكرنى تمامًا بالمسلسلات المملوءة بالشخصيات المريضة بالأوهام ، وهذا لا يفاجئنى ولا يدهشنى

ثم لماذا ؟ لأن دخولك أنت نفسك فى حياتنا أنا و(شادى) جاء على طريقة هذه المسلسلات .. رجل فقير على شفا الموت ، يظهر له فى اللحظات الأخيرة صديق قديم ثرى ، ينقذه من الموت بأعجوبة .. حدوتة شبيهة فعلاً بحواديت المسلسلات والأفلام ، ولكن لا ذنب لك فى هذا ، لأنه كان من ترتيب الأقدار ، ولكن المشكلة أنك عشت الدور يا دكتور ، وقررت عدم الخروج منه إلا بنهاية من نسج أوهامك .. نهاية توهمت فيها أنك ستقيم الموازين المختلة فى خيالك ، فالصديق الفقير القديم له زوجة جميلة ، وهذه الزوجة الجميلة كثيرة عليه ، وهى تعانى الحرمان والبؤس بسبب فقر زوجها ، وتحلم بالفارس الثرى الذى يمكنه إنقاذها من بؤسها وتحقيق أحلامها ، وأما الزوج الفقير فما هو إلا رجل خسيس لديه الاستعداد لعمل أى شيء للنجاة من فقره وبؤسه ، ولو ببيع زوجته ، وهو ما يُشعر الزوجة بعدم الأمان معه ، فتتضاعف معاناتها ، وتزداد لهفتها على الفارس الثرى الذى سينقذها ، وهنا ينتهز الصديق الثرى الفرصة ، ويحاول إغراءها بأمواله ، وبالحياة الوردية التى تشتهيها ، وبالأمان الذى تفتقده مع زوجها الخسيس الانتهازى .. أليس هذا هو السيناريو الذى رسمته يا دكتور (جهاد) ؟

وارتسمت فوق شفتيها ابتسامة معجونة بالسخرية ، ثم أردفت بسخريتها الكافية لتحطيم عشرة من أمثال الدكتور الواثق من إمكانياته :

— لا .. لا يا دكتور .. يا محترم .. ذكاؤك خانك ، وخيالك المريض جمح بك بعيداً عن الواقع .. فالواقع أن الزوجة تحب زوجها ، بل تذوب فيه حباً ، وتعيش معه أسعد أيام حياتها .. تعيش معه حياة رائعة تتمناها

كل زوجة ، لأنه يبادلها الحب بحب أكبر ، ويبادلها الاحترام باحترام أكثر ويغمرها بحنانه ، ويمنحها ثقتـه المطلقة ، ويسعى لإسعادها بكل استطاعته ، وهو بهذا يملأ عليها حياتها ، ولذلك هى سعيدة بحياتها معه وليس لها أحلام سوى أن تدوم بها سعادتها هذه معه ، وأى طرف لا يرى غير ذلك ، فهو إما أعمى البصيرة أو غبى ، ومن المستحيل أن يكون له مكان بينهما أو معهما ، ولو كان لديه ذرة واحدة من الكرامة لابتعد عنهما فورًا ، وإلاّ سيضطران هما إلى إبعاده بكل الطرق والوسائل المهينة وحينذاك سيخرج من حياتهما بلا كرامة بالمرة ، وهذا إذا كان لديه كرامة من الأصل .

وبنظرة احتقار كافية لأن تشوى جلده وعظامه مسحته من أعلى إلى أسفل والعكس ، ثم استدارت بامتعاض وقرف ماضية فى طريقها ، بينه هو جامد فى مكانه كتمثال مجسد للحقارة والهوان ، وكأنه ينتظر من يبصق على وجهه ، أو .... من يصفعه على قفاه !!!!

* * *

الفصل التاســع

سألت (ريم) محدثها بخيبة أمل :

ـ أما زلت فى الشركة ؟! ماذا ؟! الثـــامنة ؟! إنهـــا الخامســـة الآن (شادى) . أى أنك لن تعود قبل ثلاث ساعات على الأقل ، وأنا أكاد أموت من الجوع .. لا طبعًا .. لن آكل إلا معك .. سأنتظرك .. قلت لك سأنتظرك .. سلام .

وأغلقت الموبايل بإحباط ، وهمت بأن تجلس أمام التليفزيون المفتوح على كليب « عيشالك » لـــ (إليسا) ، فإذا بجرس الشقة يرن بإلحاح .. فأسرعت تفتح بعصبية ، فإذا بـــ (شادى) يهتف بها بمرح وابتهاج :

ـ شُبيك لُبيك . عاشق القمر بين يديك .

ارتمت فى حضنه بلهفة هيستيرية ، هاتفة به :

ـ يا رخم .

ـ وحشتك ؟!

ـ موت .

وعطت به إلى حجرتهما ، وخلعت عنه سترته ، وراحت تضعها فى الدولاب ، بينما أخرج هو مظروفًا صغيرًا من حقيبة أوراقه التى كان قد وضعها فوق الفراش ، وناوله لها قائلاً :

ـ تفضلى يا أجمل مُزّة فى المحروسة !

تطلعت إلى المظروف فى يدها وهى تسأله :

ـ ما هذا ؟!

ـ افتحيه !

فتحته فإذا بخمسة آلاف جنيهًا ، عادت تسأله :

ـ ما هذه النقود ؟!

ـ هذه يا مُزّة عمولتى من عقد حملة إعلانات وقعته الشركة مع م
كبير جئت به .

انطلقت هتفتها بفرحة طاغية :

ـ بجد ؟

أخذها بين يديه ، وراح يُحلق بنظراته المبتهجة على وجهها وهو يق

ـ أرأيتى يا مُزّتى كيف أن وجهك حلو علىّ ؟

اختطفته فى حضنها بفرحتها الغامرة :

ـ ألف مبروك يا حبيبى .. ألف ألف مبروك .

ـ مبروك علينا نحن الاثنين يا حبيبتى .

وهمت حبيبته بأن تقول شيئًا ، فإذا به يسحب نفسه من حضنها ، ويـ
من نافذة الغرفة المفتوحة على مساحة خالية من المبانى ويشرد بنظ

بعيداً فى عمق الفراغ الممتد أمامه ، فلم تملك (ريم) إلاّ أن تسأله فى دهشة :

ـ ماذا هناك يا حبيبى ؟!

وجاءها جوابه ونظراته الحالمة تسبح فى الأفق :

ـ هناك حلم مستعد لأن أدفع فيه عمرى .

ازدادت دهشة (ريم) :

ـ أى حلم هذا يا حبيبى ؟!

ـ أن أمتلك شركة دعاية وإعلان .

ـ شركة مرة واحدة ؟!!

ـ نعم يا (ريم) .. شركة مرة واحدة .

ـ ومنذ متى راودك هذا الحلم ؟!

ـ منذ عرفت كل أسرار هذه المهنة ، وعرفت بنفسى كم هى مربحة .. نهر من الأرباح يا (ريم) .. نهر من الأرباح !!!

ووجدت (ريم) نفسها تتأمله بحيرة لوهلة ، ثم تملك بعدها إلا أن تقول له بدهشتها وحيرتها :

ـ ولكن الشركة مشروع ضخم يا حبيبى ، ويحتاج إلى أموال طائلة .

هنا استدار إليها (شادى) ، فإذا بعينيه تشعان بريقًا عجيبًا .. يفوق صواعق السماء وميضًا ، وإذا به يجيبها قائلاً بنبرة تتفجر منها مذهلاً :

ـ بمليون جنيه .. بمليون جنيه فقط أستطيع إنشاء هذه الشركة والانطلاق بها إلى عالم المليونيرات ، بل إلى عالم المليارديرات .

ضرب الذهول (ريم) :

ـ المليارديرات ؟!!

ـ نعم يا (ريم) .. المليارديرات .

ـ بمليون جنيه ؟!!

ـ نعم يا حبيبتى .. بمليون جنيه .

ـ وهل هذا مبلغ بسيط يا (شادى) ؟!

ـ يا حبيبتى المليون جنيه فى أيامنا هذه لا تساوى مائة جنيها من بعض الناس .

أطرقت (ريم) مرددة :

ـ عندك حق يا حبيبى .. الأرقام التى نقرؤها ونسمع بها عن أموال وتبذير الإقطاعيين الجدد فى بلدنا الآن تثير السخط .

وعاد (شادى) يطلق نظراته الوامضة إلى الأفق وقد دبت فيه حالة
ثيرة من هياج داخلى هيستيرى ، حتى بدا وكأنه يحاول شق حجاب الغيب ،
م إذا به يرتد بهياجه الداخلى الذى يكاد يفجّر شرايينه وأوردته وأعصابه :

ـ أشعر أنها بين يدىّ .. أشعر أنها بين يدىّ .

وفوجئت (ريم) ، وعاد إليها ذهولها وهى تسأله :

ـ ما هى ؟!

وإذا بها تُفاجأ به يقبض عليها بين يديه ، ويلتهم وجهها بنظراته
الهيستيرية وهو يجيبها بهوسه :

ـ المليون جنيه .. المليون جنيه يا مُزّة .

* * *

وتمضى الأيام ، وهوس (شادى) بحلمه الكبير يزداد اشتعالاً فى رأسه
كلما شاهد بعينيه ، أو شارك بصفقات الدعاية والإعلانات التى يجلبها فى
تدفق الأرباح المذهلة على الشركة التى يعمل بها ، ويبلغ به هوسه أنه كلما
وضع رأسه فوق وسادته فى نهاية يومه قفز أمام عينيه على الفور
مشهده وهو يجلس ببذلته الكاملة الأنيقة فى مقعده الضخم حديث الطراز ،
فى غرفة مكتبه الفسيحة المؤثثة والمفروشة على أحدث طراز ؛ بشركته
التى يمتلكها ، والتى تعج بالموظفين العصريين الأنيقين ، والموظفات
الفاتنات الأنيقات المفعمات بالحيوية ، بينما العملاء من كبار رجال الأعمال

وأصحاب المشروعات الضخمة يتوافدون على مكتبه ، تاركين خلفهم شيكاتهم البنكية التى تزيد من أرصدته المليونية المتصاعدة فى البنوك .

يااااااه .....

يا له من حلم راح يحرم عينيه من النوم ، وينهب أعصابه ، ويظل وهو يعمل ، وهو يأكل ويشرب ، وهو يأوى إلى فراشه ، حتى صار شبه معزول عما حوله ، وإلى حد أنه لم ينتبه إلى من يناديه باسمه لأكثر من عشر مرات وهو يمضى فى الشارع بحقيبته عائدًا من عمله ، وهى اضطر من يناديه لأن يتوقف بسيارته ، وينزل منها ممسكًا بذراعه وهو يهتف به فى دهشة :

ـ (شادى) !! ماذا بك ؟!

ولم يكن هذا المندهش سوى (جهاد) !!!!

* * *

وحل منتصف الليل بـ (ريم) دون أن يعود (شادى) ، أو يتصل بها أو يجيب اتصالاتها فموبايله مغلق منذ ما يزيد على السبع ساعات .. وهى جنونها ، وراحت تتصل هنا وهناك سائلة عنه .. اتصلت بالشركة التى يعمل بها ، فكان الجواب أنه انصرف منـذ الخامسة مساءً .. اتصلت بوالدته ، فكان جوابها أنها لم تره منذ زيارتهما لها معًا قبل شهر ونصف .. اتصلت بأصدقائه فلم يختلف جوابهم كثيرًا ، وانهارت المسكينة بكية وهى تتسارع بالاتصال بوالديها طالبة منهما أن يأتياها مسرعين للبحث معها عنه

وجاءهما الوالدان على عجل ، وهمّوا ثلاثتهم بالانطلاق إلى قسم الشرطة للاستغاثة به ، فإذا بـ (شادى) يدخل عليهم من باب الشقة ، أسرعوا يستقبلونه بفزعهم وذهولهم وتساؤلاتهم ، فــإذا به واجم ذاهــل ، يحدّق فيهم بنظرات زائغة دون أن ينبس ببنت شفة ، وعصف الذهول بـ (ريم) ، وأسرعت تهزه من ذراعيه بعصبية ، هاتفة به :

ـ (شادى) .. أين كنت ؟ وماذا بك ؟

وجاءها رد (شادى) .. نظرة طويلة طويلة فى وجهها ، ثم أربعة كلمات بصوت خافت غارق فى الذهول :

ـ أريد أن أنام يا (ريم) .

ثم إذا به ينسحب من بين يديها بهدوئه الذاهل ، ويمضى إلى غرفته ، ودون أن يبدّل ثيابه أو يخلع حذاءه مدد جسده فى فراشه ، ووضع وسادته الصغيرة فوق رأسه ، وأغمض عينيه ذاهبًا فى نومه ، بينما (ريم) جامدة فى مكانها ، يكاد عقلها يتلاشى ذهولاً .

* * *

الفصل العاشر

كانت (ريم) تقف فى المطبخ ، تعد سندوتشات الجبن الرومى والبسطرمة التى يفطر بها (شادى) فى الشركة عندما روعتها صرخة الأخير من حجرة النوم :

ـ (ريم) ! أنت يا (ريم) ! أنت يا ست هانم !

وانطلقت (ريم) جريًا إليه بلفافة السندوتشات يسبقها سؤالها بلزعر :

ـ نعم يا (شادى) .. نعم يا حبيبى .

ودخلت عليه الحجرة ، فإذا به يبعثر محتويات أدراج « الشوفنيرة » بعصبية جامحة ، فأسرعت تسأله فى دهشة :

ـ ما هذا يا (شادى) يا حبيبى ؟! عم تبحث ؟!

وجاءتها صرخته :

ـ أين علبة السيديهات التى كنت أحتفظ بها هنا ؟

ـ فى الدرج حيث وضعتها بيدك .

ـ ليست هنا .. ليست هنا .. هذا البيت صار ملعونًا .. الله يحرقه .. الله يحرقه

www.riwaya.ga

ومضى يبعثر كل ما تطوله يده هنا وهناك وهو يواصل سبابه وصراخه بصبية مريعة ، جعلت (ريم) تخشى الاقتراب منه ، فراحت تحاول تهدئته من بعيد بارتباع :

ـ اهدأ يا (شادى) .. اهدأ يا حبيبى .. ماذا أصابك ؟! عمرك ما كنت عصبيًا هكذا !! ما الذى حولك هكذا ؟! ماذا جرى لك ؟!

وجاءها جوابه وهو يتقدم منها بنظرات مريعة ، وكأنه يريد أن ينقض عليها :

ـ ماذا جرى لى ؟! ألا تعلمين ماذا جرى لى يا زوجتى المحترمة ؟! جرى لى أن حياتى فى هذا البيت صارت جحيمًا .. صارت كابوسًا .. صارت لعنة .. لعنة جلبتها لنفسى يوم تزوجت .. يوم خاب عقلى وفعلتها .. كان يومًا أسود وسيكون يومك هذا أشد سوادًا منه ومن قرن الخروب إذا لم تظهر علبة السيديهات هذه ثوًا .

وسقط قلب (ريم) فى قدميها من الرعب ، ولم يكن أمامها إلاّ أن تعثر على السيديهات ، فراحت تبحث عنها هنـــا وهناك بأعصاب تالفة دون جدوى ، مما زادها هلعًا ، وجعلها تسأله بهلعها :

ـ (شادى) حبيبى ، حاول أن تتذكر ، فربما أخذتها معك الشركة اليوم .

وجاءتها صرخته تهدر تهكمًا :

ـ نسيت ! أنا الذى أنسى أم حضرتك التى تهملين ؟! من يعلم ربما حضرتك ألقيتى بها فى القمامة فى نوبة من نوبات إهمالك واستهتارك.

وشق الاتهام قلب المسكينة .

ـ أنا يا (شادى) ؟!

وطفحت الدموع من عينيها ، بينما هم هو بأن يختطف حقيبته من فوق الفراش لينطلق بها ، ولكنها سبقته بفتحها لتضع فيها لفافة السندوتشات وإذا بعلبة السيديهات بداخلها مع الأوراق .. وأسرعت ترفعها أمام عينيه وهى تسأله بدموعها فى عتاب ومرارة :

ـ أليست هذه هى علبة السيديهات يا (شادى) ؟!

وبُهت الزوج الشاب ، ولكنه سرعان ما استرد رعونته ، فأسرع يختطف العلبة من يدها ، صارخًا فى وجهها بنفس عصبيته :

ـ هاتى !! ربنا يتوب علىّ من هذا البيت ومن فيه .

وانطلق مغادرًا الشقة ، وهو يواصل ردحه :

ـ بيت يقرف ، وعيشة تقرف .. اتفوه ..

وسمعت (ريم) بصقته وهو يصفع باب الشقة خلفه ، فتجمدت فى مكانها مرددة بذهول مريع يكاد يطمس عقلها وبالدموع :

ـ لا .. ليس هذا (شادى) زوجى .. هذا ليس زوجى .. ليس زوجى

* * *

وبدموعها ، وبذهولها ، وبصدمتها التى تكـاد تشطر دماغها نصفين
تعلقت إلى والديها .. ارتمت فى حضن أمها منهارة ومنخرطة فى بكاء
مرير ، جعل نحيبها يختلط بكلماتها وهى تكشف عن محنتها :

ـ لا أدرى ماذا أصابه يا ماما .. لا أدرى ماذا أصابه .. انقلب شخصًا آخر تمامًا لا أعرفه .. لم يعد (شادى) زوجى وحبيبى . صار مخلوقًا مختلفًا .. مخلوقًا يفزعنى ويهيننى ليل نهار ، فلا شىء يفعله معى سوى السباب والصراخ .. لا شىء سوى ترويعى وإهانتى بدون توقف .

وبهتت الأم :

ـ (شادى) ؟!!

ـ نعم يا ماما .. (شادى) !!

ولم يكن الأب أقل بهوتًا وهو يسأل ابنته الوحيدة :

ـ (شادى) زوجك يا (ريم) ؟!! (شادى) زوجك ؟!!

ـ نعم يا بابا (شادى) زوجى !! (شادى) الذى أحببته حبًا لم ينعم به رجل من قبل ولا من بعد !! (شادى) الذى كنت أشعل أصابعى العشرة شموعًا كى أسعده !! (شادى) الطيب .. الرقيق .. الضحوك .. (شادى) زوجى يا بابا !! (شادى) زوجى !!

وانخرطت فى البكاء مرة أخرى ، فراحت أمها تربت عليها فى حضنها ، ووالدها يتفطر ألمًا ، حتى وجدت نفسها تردد فى سخط .

ـ حسبى الله ونعم الوكيل فيك يا (شادى) يا ابن حفيظة .. ماذا جرى له ؟! هل جن ؟! هل جاءته مصيبة فى مخه ؟!

وإذا بهتافة الأب :

ـ مخه .. هو مخه .

وفوجئت (ريم) وأمها ، بينما أردف هو :

ـ لماذا لا تكـون عصبيته وعدوانيته هـذه من جراء مرضه اللعين والجراحة التى أجراها فى مخه .

وانتبهت (ريم) مرددة فى دهشة :

ـ الجراحة ؟!!

ـ نعم الجراحة . ففى مثل هذه الجراحات الخطيرة كثيرًا ما تحدث للمريض انتكاسة بعد فترة من التعافى ، ويرتد إليه المرض أشد مما كان .

ـ ولكن يا بابا هذه الجراحة مضى عليها أكثر من سنة ، وطوال هذا الوقت اختفت كل الأعراض التى كان يشكو منها ، والدكتور (أرنست) نفسه أكد شفاءه تمامًا .

ـ إذن بماذا نفسر سلوكه العدوانى الجديد عليه تمامًا ؟

ـ لا أدرى يا بابا .. لا أدرى .

وارتدت إلى الأب حيرته ، وراح يعتصر عقله محاولاً الوصول إلى تفسير آخر ، ولكن نحيب (ريم) عاد يرتفع قاطعًا عليه تفكيره ، فالتفت إليها قائلاً بحنو :

ـ اهدئى يا (ريم) ! حاولى أن تتمالكى نفسك يا حبيبتى كى نستطيع التفكير فى الأمر .

ـ أعذرنى يا بابا .. أعذرنى .. ثلاثة شهور وأنا أنام وأصحو فى هذا العذاب .. ثلاثة شهور وأنا أقول لنفسى غدًا يعود كما كان ، ولكننى وجدته يزداد جنونًا وإجرامًا يومًا بعد يوم ، ووجدت النار تشب أكثر ساعة بعد ساعة ، حتى فاقت احتمالى .

وأسرعت أمها تعاتبها :

ـ ثلاثة شهور يا (ريم) ولا تخبريننا ؟!

ـ كنت أظنها سحابة صيف يا ماما وستمر ، ولم يخطر ببالى أنها جهنم ، وأنها ستفتح أبوابها علىّ ، ومن الذى فتحها ؟!! الإنسان الوحيد الذى استأمنته على قلبى وعقلى وكل حياتى !! من يصدق هذا ؟! من يصدقه ؟!

وأفلتت دموع الأب تخونه مــن فرط غمه ، وراح يرنو إلى ابنته بقلب يقطر حزنًا وقد عزت عليه الكلمات التى تمكنه من مواساتها وترطيب قلبها المفطور ولو قليلاً ، فازداد غمًا على غمه ، ولكنه سرعان ما انتبه لنفسه ، وأدرك أنه الآن فى أمس الحاجة إلى تشغيل عقله ، فأسرع يقول لابنته :

ـ أنت تقولين أن هذه العاصفة بدأت منذ ثلاثة شهور ، فهل بمقد
تكونى أكثر تحديدًا وتتذكرين اليوم الذى بدأت فيه ؟ فلعل هذا يفسر لنا
شيئًا من الأمر .

وكأن السؤال فجر فى (ريم) بركانًا عاتيًا من السخط والنقمة ، فـ
انتفضت واقفة مجيبة بكل سخطها وكمدها ونقمتها :

ـ بل سلنى يا بابا إذا كـــان يمكننى نسيان هذا اليوم .. لا يا بابا ، ذ
اليوم ليس للنسيان .. إنه محفور ، وسيظل محفورًا فى ذاكرتى وفى
كأخدود من أخاديد جهنم .. أخدود تجرى فيه نار سوداء .. يوم مشهو

عصف الذهول بالوالدين ، وأسرع الأب يسألها بذهوله :

ـ أى يوم هذا يا ابنتى ؟!

ـ يوم أن اختفى فور مغادرته الشركة إلى ما بعد آذان الفجر ، وأغ
موبايله طوال ساعات اختفائه ، وعاد إلينا شبه ميت !!

أسرعت الأم تقاطعها بذهولها :

ـ يوم أن دخل من باب الشقة إلى الفراش ، وتركنا ذاهلين فى
الريسبشن دون كلمة واحدة ، وبمنتهى قلة الذوق ؟!

ـ نعـــ .... م يا ماما .. هو ذاك اليوم .. اليوم الذى خرج
فيه (شادى) زوجى إلى عمله ، وعاد إلىّ شخصًا غريبًا لا أعرفه .

وطفح وجه الأم ذهولاً :

ـ ماذا يعنى ذلك ؟

وجاءها الجواب من الأب بذهول يفوق ذهولها :

ـ يعنى أن أمرًا خطيرًا حدث معه فى ذلك اليوم .. أمر كان نقطة تحول فى شخصيته ، وربما فى حياته .. سر كبير بكه هكذا ، وقلب كيانه .. سر كبير تحول الآن إلى لغز كبير ، فماذا يكون هذا السر ؟!! ماذا يكون ؟!!

* * *

وجاء الوالدان بابنتهما للوقوف على حقيقة روايتها بعدما رفض (شادى) الرد عليهما فى الموبايل لأكثر من عشر ساعات ، وما أن دلفوا من باب الشقة حتى وجدوا (شادى) منتصبًا أمامهم فى عدوانية طافحة على وجهه وفى عينيه كشيطان منتفخ بشر مستطير ، وعلى الفور بادر (ريم) قائلاً بغضبه المريع :

ـ حمدًا لله على السلامة يا هانم .

وجاءه الرد بأدب من أبيها :

ـ الله يسلمك يا أستاذ (شادى) .

وكأنه لم يسمع الرجل ، ولم يره من الأساس ، تجاهله تمامًا ، وعاد يسأل (ريم) بنفس غضبه وتحفزه :

ـ أين كنت ؟

وجاءه الجواب هذه المرة من الأم بهدوء :

ـ جاءت تطل علينا يا (شادى) يا بنى ، فأنت لم تفكر فى زيارتنا منذ ما يزيد على الشهرين .

وتجاهلها (شادى) هى أيضًا ، وعاد يوجه حديثه إلى (ريم) للمرة الثالثة :

ـ أعتقد يا هانم أن الزوجة التى تغادر بيتها دون إذن من زوجها لا تكون زوجة محترمة ، ولا تستحق أن ترتبط برجل محترم من الأساس .

وبُهتت (ريم) ، وأسرعت تنظر إلى والديها فى ذهول ، فإذا بوالدتها أشد بهوتًا منها ، وتهم بأن ترد بشىء ما ، ولكن الأب أسرع يشير لها بالامتناع ، ثم التفت إلى (شادى) قائلاً بمرارة متناهية :

ـ شكرًا يا (شادى) يا بنى .. أدبى ومنى لا يسمحان لى إلاّ أن أقول لك شكرًا ولكنى فى نفس الوقت أحب أن أذكرك بأمر مهم ، وهو أن (ريم) زوجتك منذ ما يزيد على الأربع سنوات ، وطوال هذه السنوات كنت لا تكف عن التفاخر بأدبها واحترامها ، فهل كنت لا تعرفها كل هذا الوقت أم كنت .....

ـ كنت أعمى .

هكذا جاءته مقاطعة (شادى) كالقذيفة ، وبصفاقة لا تُصدق ، وهنا الرجل وزوجته وابنتهما ، بينما تحرك (شادى) متقدمًا منه وهو يُثبت عينيه عليه بصرامة ، حتى وقف أمامه يغرس نظراته الصارمة فى عينيه ، ثم أردف بمزيد من الرعونة والصفاقة :

ـ كنت أعمى يا عمنا .

ـ عمنا ؟!!!

هكذا انفلتت من (ريم) غمغمتها فى ذهول صاعق وهى تحدق فى (شادى) ، ووجدت نفسها تسأله :

ـ أجننت يا (شادى) ؟!

ولم تستطع والدتها أن تتمالك نفسها أكثر من ذلك ، ووجدت نفسها تكرر عليه سؤال ابنتها فى تحفُّز :

ـ هل جُنَنت يا ولد ؟

وإذا بتحذير (شادى) لها على الفـور وهـو يكاد يضرب أصبعه فى فمها :

ـ مدام ! انتبهى إلى كلامك .. وإلا ...

وانفجرت (ريم) فيه :

ـ وإلاّ ؟! وإلاّ ماذا يا بنى آدم ؟!

وإذا بـ (شادى) يقبض على ذراعها بكل قسوة وعنف ، حتى كاد يحطمه فى قبضته وهو يقول لها من بين أسنانه :

ـ أنت تخرسين الآن تمامًا .. دورك لم يأت بعد .. حارساك هذان سينصرفان الآن بدون مطرود ، وبعدها سأتولى تأديبك من جديد .

وصرخت (ريم) بالدموع :

ــ ذراعى .. ذراعى .. اترك ذراعى يا معتـــوه .. أدركنى يا بابا
أدركينى يا ماما .

وقفـــز الوالـــدان على الزوج الـــذى بـــدا وكأنه فقـــد عقله تماما وبكـــل قـــوته دفعـــه الأب بعيـــداً وهـــو يصرخ فيـــه بكل غضب وسخطه :

ــ اتركها يا حيوان .. أتركها وكفاك قلة أدب .

وسقط الزوج الأرعن فوق كنبة الأنتريه ، بينما أخذت الأم ابنتها البا في حضنها ثم راحت تحدجه بنظرة سخط مرددة بحرقة من قلبها :

ــ حسبنا الله ونعم الوكيل .. حسبنا الله ونعم الوكيل .

بينما التقط الأب أنفاســـه ، ثم راح يحدجه هـــو أيضاً بعينين ساخطتي قائلاً :

ــ لقد جئت إلى هنا وأنا أعتقد أن ابنتى بالغت كثيراً فى روايتها ع رعونتك وسفالتك ، ولكننى الآن وبعد ما رأيته وسمعته بنفسى منك تأك أنها كانت مُحقة فى كل ما روته ، بل تأكدت أنك جُننت ، وأنا مستحيل أ أترك ابنتى لسفيه مجنون .

وإذا برد (شادى) وقد نهض واقفاً :

ـ ولماذا لا تقـول يا عمنا أنكم عائلة منحرفة ، وأنك أب فاشل ، لم تعرف كيف تربى ابنتك الوحيدة ، لأنك لا تعرف من الأساس معنى التربية والأب .

ـ اخرس !!

هكذا جاءته صرخة (ريم) هادرة وهى تقفز إليه ، ناشبة أظافرها فى وجنته حتى سال دمه ، ومردفة بصراخها الهيستيرى :

ـ اخرس يا حقير .. والله العظيم .. والله العظيم لأخلعك فى المحكمة كما أخلع حذاءً قديمًا من قدمى !!!!!

وأمام قاضى الأحـوال الشخصية وقفت (ريم) متمسكة بالخلع من زوجها ، معلنة استعدادها لرد المهر التافه الذى تزوجها به ، وتبرئته من كافة حقوقها ، فلم يملك القاضى إلاَّ الحُكم لها بالخلع ، لتستدير المسكينة مغادرة قاعة الجلسة بين والديها ، ولكنها ما إن بلغت باب المحكمة المؤدى إلى الشارع حتى وجدت نفسها تتسمر فى مكانها وقد أوشك شعر رأسها أن ينتفض واقفًا لهول ما اصطدمت به عيناها ..

كانت السماء على امتدادها حتى الأفق مصبوغة بحُمرة دموية مريعة ، وبدت كل السُحب العالقة بها من حُمرتها وكأنها نطف هائلة من أقطان مغمسة بالدماء ، وعلى الفور انفجر داخل المسكينة إحساس مريع بأن هذه الصبغة الدموية ما هى إلا دموع من دماء تذرفها السماء حزنًا على شرف صرها الذى ولِد وعاش عفيًا ساطعًا ناصعًا لسنوات ، ثم إذا به يُذبح

شر ذبح فى أيام معدودات !!! وبيد من ؟!!! بيد من وهبته قلبها دون أى شروط أو ضمانات !!!

فلماذا ؟

وكيف ؟

كيف ؟

ولم تدر المسكينة بنفسها وهى تسقط فى حضن أمها مجهشة ببكاء مرير ، ومتسائلة بذهول يكاد يذهب بما تبقى لها من عقل :

ـ كيف حدث هذا يا ماما ؟ كيف حدث هذا ؟!!!

★ ★ ★

الفصل الحادى عشر

أربعون يومًا بلياليها و(ريم) قابعة فى فراشها بين جدران غرفتها ، لا تبرحها مطلقًا إلاّ إلى الحمام أو غرفة الطعام لمشاركة والديها طعامهما بعد إلحاح وتوسل منهما ، وفشلت معها كافة أدوية ونصائح الطبيب النفسى الذى سارعا باستدعائه ليدركها من أنياب مصيبتها ، وراح قلباهما ينظران وهما يقفان عاجزين أمام هلاك غير رحيم يسحبها بعيدًا بعيدًا بومض جائع أحكم فكيه على فريسته ، وبات واضحًا أن مقاومة المسكينة قد تهارت تمامًا فانهار بناؤها النفسى كله ، وتمزقت كل روابطها بالحياة ، وبدت وكأنها تستدعى الموت من غياهبه ، وبينما هى بهذه الحال تشبه الميت إكلينيكيًا راحت كتل من ضباب أسود تتراكم أمام عينيها رافعة جدارًا من سواد حالك ، وعلى هذا الجدار راحت تُومض مشاهد حية نابضة تروى حكاية الحب الذى كان ، وكيف جاء ميلاده على محفة نُبل وشهامة المسكينة ..

www.riwaya.ga

فها هى (ريم) تقود سيارة أبيها فى أحد شوارع « المعادى » الهادئة ومعها صديقاتها عائدات من زيارة صديقة لهن ، وفجأة تلمح على رصيف الشارع شابًا ينكور على الأرض ويصرخ متوجعًا وهو يقبض على رأسه بيديه فى عصبية ، ولأن الشارع الهادئ بدا خاويًا إلاّ منهن ، فقد سارعت (ريم) بالتوقف ، والقفز من السيارة مع صديقاتها ملتفات من حوله وهن يسألنه عما به ، فكان جوابه مزيدًا من الصراخ وهو يزداد ضغطًا على رأسه بيديه حتى يكاد يحطمها ، فلم تملكن إلا إدخاله فى السيارة ،

لتنطلق به (ريم) إلى عيادة شقيق إحدى صديقاتها ، وهناك يحقنه طبيب أمراض الباطنة بمسكن قوى يذهب بصداعه الحاد فى دقائق ، ثم ينصحه بضرورة اللجوء إلى طبيب أمراض عصبية أو نفسية ، لأنه من الواضح أن صداعه هذا ناتج عن اضطراب عصبى ، أو أزمة نفسية ..

وها هو (شادى) فى المشهد التالى يصارحها بحقيقة أزمته النفسية ، إنها تجربة زواجه الفاشلة ، والتى خرج منها محطم الفؤاد ، يفترس إحساس قاتل بالضياع ، خاصة بعد سفر طليقته بطفلهما الوحيد إلى « لبنان » حيث تعمل مدرسة هناك ..

وها هى المشاهد الحميمية للصديقين الجديدين تتوالى ، وتزيدهما اقترابا من بعضهما ، فتبدأ محنة (شادى) فى فك قبضتيها المؤلمتين عنه رويدًا رويدًا ، وتشرع أحزانه وحسرته فى الانسحاب راحلة عنه أمام حنان (ريم) ورقتها معه ، وشقاوتها عليه ببراءة تأسر القلب .. لقد وجدت الفتاة نفسها تحتويه وكأنه ابنها لا صديقها ، ووجدت نفسها تشعر بسعادة غامرة وهى تخرج به من ظلمة يأسه وضياعه ، وتبث فى قلبه الإحساس بجمال الحياة وبهجتها .. فها هو يضحك ويمرح معها ويداعبها ، ويتلهف للقائها ويلقاها وهو يكاد يطير من السعادة ..

وها هو يصارحها بحبه الجنونى لها ، ويهبها قلبه مغلقًا على غرامه الهيستيرى بها ، ويأخذ على نفسه العهد بأن يظل أمينًا على قلبها وحارسًا عليه حتى آخر نفس فى صدره ..

وها هو المشهد الأخيـر للحارس وهـو يحطم القلب المؤتمن عليـه ، ويلتهمه ، ويشعل فى أطلاله نارًا مستعرة لا مطفئ لها .. دون رحمـة .. دون ترتيب .. دون مقدمات ..

- آآآآآآآآآآآآآه

واقتحم الأبوان الغرفة على صرخـة ابنتهما ، وسارعا بـضمها فـى حضنهما وهى منخرطة فى البكاء حتى سمعا رنين جرس الشقة ، فمـضى الأب ليفتح ، فإذا بالطارق هو الدكتور (جهاد) ، والذى بادر الأب قائلاً :

- أستاذ (أحمد) .. أنا الدكتور (جهاد الرومى) .. صديق (شادى) ..

وجاءه رد الأب سريعًا :

- أعرفك يا دكتور .. أهلاً بك ..

تفضل .

ودخل معه (جهاد) ، وما أن جلس قبالته بالريسبشن حتى بادره قائلاً بتواضع وأدب جم :

- أنا أسف جدًا يا افندم لقدومى هكذا بدون سـابق موعـد ، ولكنـى اضطررت لذلك بعد أن حاولت الاتـصال بمـدام (ريـم) كثيـرًا طـوال الأسبوعين الماضيين ، وفى كل مرة يكون موبايلها مغلقًا ، ورقم سـيادتك ليس معى ، فأرجو المعذرة .

ـ لا تقل هـذا يا دكتور (جهاد) .. سيادتك تأتى وقتما شئت ، فهذا بيتك .. نحن لم ننس بعد ما فعلته مع (شادى) ..

وطغت مرارته وهو ينطق بالاسم ، مما جعل (جهاد) يجيبه فى لهجة ودهشة :

ـ لقد علمت بما حدث ، وصدقنى يا أستاذ (أحمد) ، حتى هذه اللحظة لا أصدق أنه .....

تضاعفت مرارة الأب وهو يقاطعه :

ـ للأسف حدث يا دكتور (جهاد) ..

انفلت تساؤل (جهاد) فى دهشة طاغية :

ـ ما هذا الزمان ؟!! لماذا يمتلئ بكل هذه الخسة ؟!! لماذا بات الغدر فيه كالماء والهواء ؟!!

ـ وما ذنب الزمان ؟ إنه الإنسان وليس الزمان .

وأطرق الأب إلى الأرض بمرارته لوهلة ، ثم انتبه قائلاً لضيفه :

ـ أنا آسف جدًا يا دكتور (جهاد) .. نسيت أسأل سيادتك .. هل تشرب ؟

ـ لا شىء يا أستاذ (أحمد) ، وأرجو ألاَّ تعتبرنى ضيفًا .

ـ العفو يا دكتور .. سيادتك صاحب بيت .

ـ متشكر يا افندم .

وأطرق الرجلان فى وجوم ، حتى وجد (جهاد) نفسه يسأل الأب بشىء من الحياء :

ـ ما أخبار (ريم) هانم ؟

ـ حالها يصعب على الكافر يا دكتور (جهاد) .

فوجئ (جهاد) :

ـ كيف يا افندم ؟

ـ حطَّ عليها انهيار عصبى ، ويكاد يقضى عليها .

ـ يا ساتر !! ولماذا لم تتصل بى سيادتك ؟!

ـ للأسف .. ليست معى أرقام تليفونات لسيادتك يا دكتور .

ـ يا باشا .. فى الدليل سبعة أرقام تليفونات أرضية للمستشفى وثلاثة أرقام لى .

ـ لم يخطر هذا ببالى من شدة توترى .. إننا فى جحيم موصول ليل نهار يا دكتور (جهاد) .. فى جحيم موصول .

وبدا الأب وكأنه سينهار باكيًا ، فأسرع (جهاد) يواسيه قائلاً :

ـ المؤمن مُصاب يا أستاذ (أحمد) ، وأنت رجل مؤمن .. وحَّد الله .

ــ لا إله إلاّ الله .

وأطرق الأب خاشعًا حزينًا ، بينما تأمله (جهاد) بنظرة رثاء ، ثم عاد يسأله بحيائه :

ــ ممكن أراها يا أستاذ (أحمد) ؟

ــ طبعًا يا دكتور .. لحظة واحدة .

ونهض الأب ماضيًا إلى غرفة ابنته ، ليعود بعد لحظة قائلاً لضيفه :

ــ تفضل يا دكتور .

ونهض (جهاد) ماضيًا معه ، وما إن دلف من باب الغرفة ، ووقعت عيناه على (ريم) حتى انفلتت منه هتفته فى جزع وذهول :

ــ ما هذا ؟! هذه ليست (ريم) .

كانت (ريم) تجلس القرفصاء فى فراشها ، ملقية بظهرها إلى الجدار عاقدة ذراعيها فوق ركبتيها ، شاخصة ببصرها على الجدار المقابل لها وكانت ضامرة الجسد وكأنها هيكل عظمى مكسو بقشرة لحم مهترئ معروقة الوجه وكأن وحشًا دمويًا امتص ما فيه من دماء حتى آخر قطرة حمراء العينين من أثر البكاء الهيستيرى ، مهوّشة الشعر وكأن يدًا لم تمتد إلى رأسها منذ ولادتها ، وفى جملتها كانت أشبه بمومياء لامـرأة فقيرة متهالكة مُحنطة منذ آلاف السنين .. كانت هيئتها وحالتها توجعان قلب

التي قلب إذا ما وقعت عيناه عليها ، وتجعله لا يصدق أن هذه هي (ريم) التي كانت تشرق في عالمها جمالاً وفتنة وحيوية وولعًا بالحياة ، وهذا هو ما حدث لـ (جهاد) بمجرد أن وقعت عيناه عليها ، وجعله ينقل نظراتــه ذاهلة بين الأبوين المسكينين الواقفين معه يصرخ قلباهما بوجع لا يحتمله بشر ، طفح على وجهيهما ، وجعل ذهول (جهاد) الذي يملأ عينيه ينقلب على الفور رثاءً وشفقة عليهما وهو يسألهما :

– منذ متى وهي بهذه الحال ؟

– منذ أن حكمت لها المحكمة بالخُلع .. أربعون يومًا تقريبًا ..

أجابه الأب ، فجلس بحافة الفراش ، وراح يناديها برفق :

– (ريم) هانم .. مدام (ريم) .

لم يتلق منها جوابًا ولو بنظرة واحدة ، وكأنه غير موجود أمامها بالمرة .. أن يمسك بمعصمها ليقيس نبضها ، فإذا بها تدفع بيده بعيدًا بعــصبية الغضب .. صدمه رد فعلها ، ولكنه سرعان ما انتبه إلى أنه طبيــب أمــام مريضة ، فعاد يقول لها بمزيد من الرفق والحنو :

– (ريم) هانم .. أنا قبل كل شيء طبيب ، وأنت تعانين بشدة ، والقسم الذي أقسمته كطبيب يفرض عليّ أن أبذل كل ما بوسعي في سبيل شفائك .. فهل أطمع في منحي الفرصة للقيام بواجبي كطبيب ؟

وكأنه كان يهذى مع نفسه ، فقد ظلت شائحة عنه فى عالمها السوداوى المريع ، فلم يجد بدًا من توجيه حديثه إلى الأبوين :

ــ (ريم) هانم تحتاج إلى دخولها المستشفى عندى .

وجد الأبوان نفسيهما يتطلعان إلى (ريم) فى حيرة ورجاء ، فالتفت هو إليها ، فإذا به يتلقى منها صدمته الثانية .. نظرة قرف واحتكار رمته بهـا ببرود متناهٍ ، ارتدت بعدها إلى عالمها ، تاركةً إياه يتبادل نظرته الذاهلـة مع أبويها ، حتى وجد الأب يقول لَه بذهوله وحرجه :

ــ تفضل معنا يا دكتور .

نهض ماضـيًا معهما ، حتى إذا ما بلغـوا الريسبشن دعـاه الأب إلـى الجلـوس ، ففعـل لتبـادره الأم قائلة وهى تجلس قبـالته غارقـة فـى حرجها :

ــ أنا آسفة جـدًا جـدًا يا دكتور (جهاد) .. إنها منهارة ، ولا تـدرى ما تفعل .

وتدخَّل الأب متسائلاً بكل حرجه وذهوله وهو يجلس إلى جواره :

ــ شىء عجيب !! لماذا تتصرف معك بهذه الطريقة ؟!

وإذا بجواب (جهاد) بأدب لا يخفى مرارته :

ــ سلوك طبيعى تمامًا يا أستاذ (أحمد) .

فوجئ الأب :

ـ كيف يا دكتور ؟!

ـ (ريم) هاتم الآن رافـــضة تمامًـــا أى شـــىء وأى أحـــد ذى صـــلة
ـ (شادى) .. و(شادى) قبل أن يكون مريضى كان صديقى .

وإذا برد الأم على الفور بمنتهى الكمد والنقمة :

ـ حسبنا الله ونعم الوكيل .. حسبنا الله ونعم الوكيل فى هذا البنى آدم ..
له ينتقم منه .. الله يحرقه .. هذا ليس بنى آدم .. هذا ابن حرام .

وإذا بهتفة الأب فيها بصرامة صادمة :

ـ نورا .

وجاء اعتذار الأم بعذاب قلبها :

ـ آسفة يا (أحمد) .. آسفة يا دكتور (جهاد) .. التمسا لى العذر ..
ل أم .. لقد سحق قلب ابنتى الوحيدة ، وسحق عقلها وروحها ، وها هى
ضيع منى وأنا واقفة عاجزة لا أدرى ماذا أفعـــل لهـــا .. حـــرام .. والله
عظيم حرام .

وانسابت دموعها من عينيها فى حسرة موجعة جعلت الرجلين يطرقـــان
ونهما إلى الأرض فى غم ، ولكن (جهاد) ما لبث أن رفع وجهه نحوهما
لاً فى حسم :

ــ (أحمد) باشا .. (نورا) هانم .. مدام (ريـم) ضـروري تـدخل المستشفى ، وفورًا .. كل يوم ، بل كل ساعة تمر بهـا الآن تزيـد من خطورة حالتها .

انفلتت هتفة الأم بارتياع يكاد يوقف قلبها :

ــ إلى هذا الحد يا دكتور ؟!

ــ وأكثر يا هانم ..

وتدخل الأب وقد سرت فى يديه رجفة فزعه :

ــ وكيف نستطيع إقناعها بضرورة نقلها إلى المستـشفى وقـد رأيت بنفسك رفضها للفكرة حتى ؟

وإذا برد (جهاد) فى هدوء :

ــ لن نقنعها .. لأنه لن تجدى معها أية محاولات لإقناعها .

انفلت سؤال الأم فى دهشة :

ــ ماذا سنفعل معها إذن يا دكتور ؟!

ــ لن تفعلا شيئًا يا هانم .. أنا الذى سأفعل .. فقـط امتحانى الإذن وبمشيئة الله لن تغادر المستشفى إلا وهى أفضل حالاً مما كانت .

ـ معقول يا دكتور (جهاد) ؟!

وجاءها جواب (جهاد) فى ثقة متناهية :

ـ بأمر الله يا هانم .. بأمر الله .

أسرعت تنظر إلى زوجها فى لهفة ، فكان جوابه لـــ (جهـاد) فـى استسلام :

ـ افعل ما تراه صوابًا يا دكتور (جهاد) !

وكان رد (جهاد) بأدبه الجم :

ـ أمرك يا افندم .

وأخرج (جهاد) موبايله من جيبه ، وأرسل منه رسالة ما ، ثم التفـت إلى الأبوين ، فإذا بالأم تبادره قائلة :

ـ تجربتك مع الملعون (شادى) يا دكتور (جهاد) ، فى جراحة مخه ، ووقوفك إلى جواره حتى شفائه تجعلنى أسلمك ابنتى وأنا مطمئنة لك .

وكـان رد (جهاد) وهـو يخـرج زجاجة دواء مخـدر صغيرة مـن جيبه :

ـ قولى يا رب يا هانم .

ثم مال عليها هامسًا وهو يناولها الزجاجة :

ـ ضعى لها عشرة نقط من هذا المخدر فى كوب عصير دون علمها ودعيها تشربه .

والتفت إلى الأب أيضًا مكملاً همسته :

ـ فى الطريق إلى هنا سيارة إسعاف مُجهزة على أحدث مستوى لنقلها فورًا إلى المستشفى ..

★ ★ ★

الفصل الثانى عشر

لم تشعر (ريم) بانتقالها إلى مستشفى « ابن الرومى » ، ولا بنزولها
ى جناح فندقى خمس نجوم بفضل المهدئات الحديثة التى توالى حقنها
ها ، والتى أدخلتها فى حالة من الاسترخاء والاستسلام التام لفريق
كامل من أساتذة الطب النفسى وطب المخ والأعصاب ، والذى شرع
ى الفور فى علاجها بأحدث أساليب العلاج ، وتحديدًا بأسلوب
علاج الموجَّه الذى يتعامل مباشرة مع الجينات وخلايا المخ المسئولة
ن الحالة النفسية والعصبية وقوة البنية ، وبأحدث الأجيال من الأدوية ،
جرى ذلك على ثلاث مراحل .. فى المرحلة الأولى قام الأطباء بتحرير
ريضتهم من صدمتها العصبية ، وسحبها بعيدًا عنها ، ثم انتقلوا بها إلى
لمرحلة الثانية حيث راحوا يعيدون بناء جهازها النفسى والعصبى ، مع
قية بنيتها بأقوى الفيتامينات والمعادن والمكملات الغذائية ، ومع
تح للشهية أعادت فتح شهيتها للطعام والشراب ، ثم كانت المرحلة
خيرة ببث مشاعر السكينة والثقة فى النفس والرغبة فى الحياة ..
وار طويل استغرق ما يزيد على الأربعة أشهر ، ولكنه انتهى بوقوف
ريم) على قدميها بين أبويها وأقاربها وأصدقائها وقد عادت الفتاة
عة الرائعة المفعمة بالحيوية والسعادة والشقاوة ، وأطبق أبواها عليها
حضنيهما وقد غمرت دموعهما وجهيهما وكلماتهما المتدفقة حمدًا

وشكرًا للمولى عز وجل على كرمه بهــذه المعجزة ، حتــى انتبهـا إلـى (جهاد) الواقف خلفهما ، فأسرعا يعانقانه بعيونهما الدامعة ، وبنظرات تتدفق منها كل مفردات الامتنان ، وحتى وجدت الأم نفسها تقـول لـه بالدمــوع :

ــ لا أدرى ماذا أقول لك يا دكتور (جهاد) .. لا أدرى .. لسانى عاجز وعقلى نفسه عاجز عن هدايتى لقول أو فعل شىء يوفيك حقك .. دلنى أنت إذا ما كان هذا بمقدورك .. دلنى إلى ما أستطيع فعله لرد فضلك العظيم هذا .

وجاءها رد (جهاد) على الفور بكل تواضع :

ــ حاشــا لله يا هــانم .. الفضــل كله لله أولاً وأخيــرًا .. قولى الحمد لله .

أسرعت الأم ترفع وجهها إلى المولى عز وجل ، مرددة من قلبها :

ــ اللهم لك كل الحمد والشكر يا ربى يا عظيم يا كريم .

وعادت تُحلق بنظراتها الدامعة على وجه (جهاد) ، فأسرع يقول لها بابتسامة ملائكية :

ــ مبروك يا هانم .. مليون مبروك .

والتفت إلى الأب ، فإذا بالرجل يتطلع إليه بدموعه المتدفقة فى حيرة ثم إذا به فجأة يختطف رأسه بين يديه ، وينهال عليهـا تقبيـلاً ، وشـ

فاجاة تفكير (جهاد) لوهلة ، ولكنه سرعان ما استرد إدراكه ، فأسرع
نزع رأسه من يدى الأب مرددًا بذهوله :

ـ العفو يا أستاذ (أحمد) .. العفو يا باشـا .. المقامـات محفوظـة ،
سيادتك فى مقام والدى .

وكان رد الأب وقد ازدادت دموعه غزارة :

ـ هذا من أصلك الطيب يا ابن الأصول .. هذا مـن أصـلك الطيـب ..
صدقنى .. أنا كما قالت لك الحاجة بالضبط .. لا أعرف ماذا أقول أو أفعل
أمام معروفك هذا .. إنه معروف عظيم ، وأكبر كثيرًا كثيرًا من طاقـة أب
فقير مثلى .

وكان رد (جهاد) بتواضعه الملائكى :

ـ لا يا أستاذ (أحمد) .. لا يا باشا .. لا هو معروف ولا هو كبيـر ..
الواجب ليس أكثر .. أنا وزملائى الأطباء لم نفعل أكثر من الواجـب ،
وإذا كان هناك معروف وفضل فهما لله وحـده دون غيره .. لقـد منحنـا
(مريم) هانم كل ما تحتاج إليه من عـلاج ، ولكننا لم نمحنها الـشفاء ..
الشفاء من الله وحده ، وهو وحده الذى يستحق الحمد والشكر عليه .

وكان رد الأب بدموعه على الفور :

ـ الحمد لله .. لك كل الحمد والشكر يا رب .. لك كل الحمد والشكر .

وانتظره (جهاد) حتى فرغ من حمده ، ثم التفت إلى (ريم) فى حضن أمها ، قائلاً بأدب وابتسامة رقيقة :

ـ بعد إذن بابا وماما يا (ريم) هـانم .. لـدى كلمتـان أود قولهما لحضرتك .

أسرعت الأم تجيبه بسعادة غامرة وهى تهم بمغادرة الغرفة :

ـ تحت أمرك يا دكتور .. سنخرج جميعنا ، ونتركها لك .

أسرع (جهاد) يستوقفهما بقوله :

ـ لا يا هانم .. العفو .. سأقول لها ما عندى أمامكم .

وابتسمت (ريم) له لأول مرة ، قائلة برقة :

ـ تفضل يا دكتور (جهاد) .

وجد (جهاد) نفسه يتأملها بنظرة باسمة ، فقد مست رقتها وابتسامتها قلبه ، ثم وجد نفسه يقول لها بأدبه الجم :

ـ يا (ريم) هانم .. لقد مـنَّ الله على حضرتك بميلاد جديد ، فانظرى إلى الأمـام ، ولا تلتفتى أبدًا إلى الـوراء .. الذى رزقك بهـذا الميـلاد الجديد الرائع قـادر على أن يهبـك سـعادة تعوضـك كثيـرًا كثيـرًا عما فاتك ..

روحانية النصيحة ، وكلماتها المخضبة بالإحساس والنبـــل ، واللهجـــة رجولية التى قيلت بها جعلت النصيحة تمس قلب (ريم) ، ثم إذا بالفتـــاة تنبه إلى أن هذا الموقف النبيل لهذا الطبيب لم يمكن أول موقـــف تـــشهده ، بل كان هناك أيضًا موقفه الذى لا يقـــل نُـــبلاً مـــع طليقهـــا ، وإذا الموقفين معًا يلقيان عليه بهالة بثت فى قلبهـــا شـــعورًا نحـــوه بالإكبـــار والتبجيل ، ولاح ذلك جليًا فى عينيها وهى تتأمله بنظرة إعجـــاب ، وفـــى صامتها العذبة وهى تجيبه قائلة :

- أعدك بالعمل بهذه النصيحة الغالية يا سيادة الطبيب الوسيم .

طرق (جهاد) مبتسمًا فى تواضع ، بينما أردفت هى بشقاوتها :

- والآن يا طبيبى .. هل يمكننى العودة إلى بيتنا ؟

- وحشك ؟

- موت .

ازدادت ابتسامته إشراقًا وهو يُحلق بنظراته الباسمة على وجهها ، ثـــم جوابه :

- تفضلى .. تصحبك السلامة .. تصحبكم جميعًا السلامة ..

★ ★ ★

كعصفور مُرهف أضناه الشوق إلى عشـــه انطلقت (ريم) فى أرجاء شقة والديها التى ولدت وتربت فيها ، انطلقت تتحسس كل ما يصادفها . تقبله .. تهامسه .. تعانق ما يمكن عناقه .. الأبواب .. الجدران .. النوافذ .. الأثاث .. الستائر .. الورود المنتشرة هنا وهناك .. آيات القرآن المنتشرة فـوق الجدران .. صورتى والديها الكبيرتين اللتين تتصـدران الصالون . مصحف والدها الضخم الذى يقرأ فيه .. فراشها .. دباديبها التـى كانت حبيسة دولابها منذ زواجها .. بوسترات (أحمد عز) ، (هانى شاكر) (عمرو دياب) ، (تامر حسنى) ، وغيرهم من النجوم الـذين يزينـون جدران غرفتها .. هدير من الشوق واللهفة والسعادة .. هدير جامح جعلها أبويها يشفقان عليها ، فأسرعت الأم تضمها فى حضنها ، وتجلـس بهـا فوق فراشها قائلة لها بفرحة وخفق وحنو قلب الأم :

ـ حمدًا لله على السلامة يا ضنايا .. ألف حمـدًا لله علـى الـسلامة . نورتى بيتك ومكانك .

ـ الله يسلمك يا ماما .

وتدخل الأب الواقف أمامهما مداعبًا :

ـ ماما فقط ؟ ألا يوجد بابا ؟

هبت (ريم) واقفة ومرتمية فى حضنه :

ـ بابا فى القلب والعين والروح .. بابا وماما هما أحب مـا لـى فـى الوجود .

واعتصرها الأب فى حضنه بشدة :

ـ وأنت أيضًا يا حبيبة بابا أجمل هدية لنا من ربنا .. حمـدًا لله علـى السلامة يا حبيبتى .

ـ الله يسلمك يا بابا .

ونهضت الأم واقفة تسألها بفرحتها :

ـ ها .. ماذا ستفعلين الآن يا حبيبة بابا وماما ؟

وجاءها جواب (ريم) بلهفة عصفور ظمآن ، حط على نبع الحياة بعد أفلته الهلاك بمعجزة :

ـ سأعيش حياتى .. سأعيش حياتى من جديد .. حياة (ريم) البنوتـة الشقية .. سآكل وأشرب وألعب ، وأخرج إلى الدنيا مـع أصـحابى كلها فرحة وشقاوة ودلع .. تمامًا كما كنت قبل زواجى ..

* * *

وانطلق العصفور العائد إلى الحياة باسطًا جناحيه .. يكاد مـن هـوس فرحته بنجاته ونهمه للطيران لا يبقى على أفق ، ولا يقر بحدود .. فمـن

حفل ساهر لـ (تامر حسنى) إلى حفل لمعشوقها (محمد منير) .. ومن امسية شعرية لشاعرها المفتونة به (فاروق جويدة) إلى عـرض أزيـاء لـ (هانى البحيرى) .. ومـــن حفــل عيد ميلاد صديقة إلى حفل زفـا أخرى .. ومن معابد « أسوان » إلى شواطئ « شرم الشيخ » ، وعـود إلى كافيهات « القاهرة » ونيلها وشوارعها وأمسياتها .. وكادت تمتطى جنـاح الريح وهى تنطلق إلى « دار الأوبـرا » لحضـور ندوة لـضيف « مصر » الشاعر السورى الكبير (أدونيس) ، ولكنها ما إن بلغت قاعـ النـدوة حتى فوجئت بالواقفين أكثر مـن الجالسين لشـدة الزحام علـ الندوة ، وفوجئت بالكثيرين مـن كبـار الـشعراء والأدبـاء والمفكـرين المصريين ، يتقدمهم وزير الثقافة والسفير الـسورى وعـدد مـن كبـا المسئولين ، وبدا واضحًا أنه عرسٌ وليس مجرد ندوة ، وأسـلمت الفتـ أمرها إلى الله ، ووقفت فى مكانها مشاركة الجمع انتظار قـدوم الـشا السورى الذى لم يكن قد وصل بعد ، وإذا بها فجأة تسمع صـوتًا مألوفًا يناديها من بين الجالسين .. التفتت نحو صاحب الصوت ، فإذا به (جهاد وقد جلس فى الصفوف الأولى .. لم تصدق عينيها ، بينما هو يشير إليهـ بأن تقبل عليه .. فأسرعت إليه ، بينما نهض هو يستقبلها مصافحًا بفر المفاجأة ، ثم أسرع يدعوها إلى الجلوس مكانه ، فكان سؤالها على الفـ فى دهشة :

– وحضرتك ؟

ـ سأتصرف .

ـ تتصرف كيف ؟! ألا ترى حضرتك ؟! القاعة تحولت إلى قاعة حشر .

ـ اجلسى أنت فقط .

وإذا بردها سريعًا فى تبسُم :

ـ لا .. سأجلس أنا وأنت معًا .

فوجئ :

ـ فى مقعد واحد ؟!

سطعت شقاوتها فى سؤالها :

ـ ألا أستحق هذا الشرف ؟

أسرع يجيبها بدهشته :

ـ أتعكسينها ؟ المفروض أنا الذى أقولها لك .

أمسكت بيده وأجلسته معها ، قائلة :

ـ المقعد الذى خلفنا يجلس به فيل .. وأنا وأنت معًا أقل حجمًا منه .

أسرع يلتفت ، فإذا برجل ضخم جدًا يجلس خلفهمـــا بالفعـــل .. أمـــسك ضحكته بصعوبة ، والتفت إليها قائلاً :

ـ يا لك من شقية !!

ـ بل قل يا لك من كارثة .

فوجئ :

ـ كارثة ؟!!

ـ نعم صديقاتى فى الجامعة كانوا يسمونني « كارثة » .

ـ لمـــاذا ؟!

ـ لأننى عنـدما كنت أحـط على أحـد بشـقاوتى كنت أجعلـه يكـره نفســه .

أسرع يمسك نفسه من الانفجار فى الضحك للمرة الثانية ، بينما أسرعت هى تسأله :

ـ هل حضرتك من هواة الشعر ؟

ـ أنا عاشق للشعر .. ولو عصرتينى ما نزل منى غير الشعر .

ـ معقول !

أومأ لها مؤكدًا ما قاله ، فعادت تسأله بدهشتها :

ـ وهل تحب شعر (أدونيس) ؟

ـ أنا صديق لـ (أدونيس) .

ـ ماذا ؟!!!!!

صاحت بها وهى تنتفض واقفة ، فأسرع يقول لها بهدوء أرســتقراطى
هش :

ـ تفضلى اجلسى .

جلست وهى تهز رأسها وكأنها ضربت فيه بحجرٍ ، فلم يــستطع منــع
بسامته المشفقة عليها وهو يسألها برفق :

ـ ماذا بك ؟

ـ حضرتك ماذا قلت ؟!!

أعاد عليها جوابه بنفس هدوئه وتبسمه :

ـ قلت إنى صديق لـــ (أدونيس) .

ـ (أدونيس) من ؟!!

ـ (أدونيس) شاعر العرب العظيم .. أتريدين ما هو أكثر ؟

ـ وهل هناك ما هو أكثر ؟!

سألته وهى تتطلع إليه بشك فى أمره ، وكان جوابه بنفس هدوئه :

ـ لا يمكن أن تقام ندوة لـــ (أدونيس) فى أى بلد فى العالم إلاَّ وأكون
حاضراً فيها .

ازدادت شكًا فى أمره :

ـ والله !!!!

وازداد هو إشفاقًا عليها ، فمضى يفسر لها الأمر .

ـ صداقة (أدونيس) وحبى لشعره ورثتهما عن بابا الله يرحمه .. فقد كان بابا صديقًا له ، وكان يحب شعره أكثر من حبه للطب .

هنا خفّت حدة دهشة (ريم) ، وتراجع شكها فى أمـره ، لا لشىء إلا لتفسيره لصداقته للشاعر الكبير بعامل التوريث ، فقد كان هناك فيروس جهنمى يجتاح « مصر » باندفاع مذهل مريع اسـمه « التوريث » ، فابن الطبيب طبيب ، وابن القاضى قاض ، وابن الفنان فنـان ، وابن السياسى سياسى ، ولِمَ لا وأكبر عملية توريث فى التاريخ كانت تجرى على قدم وساق ، وهى عملية توريث « مصر » بأرضها وسمائها وشـعبها لابن القيصر (حسنى مبارك) .

وانتبهت (ريم) من خاطرها على التصفيق المدوى للشاعر العالمى الكبير وهو يدخل القاعة وسط المسئولين عن الندوة ، متجهًا إلى المنصة ، وبعد ما يزيد على الأربع ساعات عاد نفس التصفيق المـدوى يهـز القاعـة والشاعر الكبير يغادر المنصة ، وإذا بـ (جهاد) ينهض قائلا لـ (ريم) بأدبه الجميل :

ـ تفضلى يا افندم .

أسرعت تسأله وهى تنهض معه :

ـ إلى أين ؟

ـ تفضلى معى وستعرفين .

وخرج بها من بين صفوف المقاعد ، ثم إذا به يتجه نحو الشاعر العالمى والذى كان قد توقف قبل مغادرة القاعة وسط حلقة من كبار شعراء وأدباء ومفكرى « مصر » ، ودخل معهم فى حوار حميم وسط تزاحم المعجبـات والمعجبين عليهم ، ولم يملك (جهاد) إلا التوقف بـ (ريم) أمـام هـذا الزحام ، فأسرعت (ريم) تسأله فى شبه تهكم :

ـ ها .. وماذا بعد يا حضرة الطبيب الوسيم ؟!

التفت إليها مبتسمًا فى وقار ، ثم رفع يده ملوحًا للشاعر الكبيـر الـذى قهر رأسه بالكاد من بين المتزاحمين عليه ، فأسرعت الفتاة تسأله للمرة الثانية ، ولكن بتهكم صريح :

ـ ماذا تفعل يا دكتور (جهاد) ؟! هل تريد أن تُسلم عليه ؟! ألا تـرى حصار المضروب حوله من العشرات من أمثالنـا ؟! وواضـح أن هـذا حصار أرهقه ، ويريد من ينقذه منه ، فهيا بنا بكرامتنا قبل أن يأتى الأمن ويكنسنا جميعًا .. هيا يا دكتور .. هيا .

وأمسكت بيده لتتصرف به ، فإذا بصوت الشاعر العالمى يرتفع فوق كل هذا الصخب مناديًا :

ـ دكتور (جهاد) .

وإذا بالشاعر يحاول اختراق الحصار والإقبال على (جهاد) ، فأسرع (جهاد) لملاقاته وهو يجذبها من يدها ، حتى تلقاه الشاعر بالعناق وهو يقول له :

ـ كانت عيناى عليك طوال الندوة ، وكنت سأطلب من الأمن إحضارك .

انفلتت ضحكة (جهاد) منه ، وأسرع يلتفت إلى (ريم) وهو يجيبه :

ـ لإحضارى وليس لطردى .

ودُهش الشاعر الكبير :

ـ طردك ؟!!

أسرع (جهاد) يهنئه :

ـ كنت رائعًا كالعادة يا أستاذنا .

وكان رد الشاعر الكبير سريعًا وهو يبتسم لـ (ريم) :

ـ الروعة كلها فى يدك أنت يا طبيبى الشقى .

وأسرعت (ريم) تصافحه مبهورة :

ـ مرسيه يا أستاذنا .. مرسيه يا أعظم شعراء الدنيا .. أنـــا لا أصـــدق نفسى .. معقول !! معقول (أدونيس) العظيم يغازلنى أنا ؟!!

وإذا بجواب الشاعر الكبير بتواضع ساحر :

ـ يا فاتنتى .. يا فاتنتى قبـــول مُزة مثلك لغزلى يمنحنى الـــشرعية لأن أكون شاعرًا .

وومضت عينا (ريم) انبهارًا وهـــى تُحلـــق علـــى وجهـــه بنظراتهـــا الهيستيرية ، ثم إذا بها تختطفه فى حضنها بنفس حميمية حضنها لوالدها ، بينما هو يضحك ، هاتفًا بشقاوة مُدهشة :

ـ وهذا الحضن يمنحنى الخلود .

* * *

الفصل الثالث عشر

داخل شركة « الجيار » للمستلزمات الطبية ، وخلف مكتبه الأنيق وقف مالك الشركة الدكتور (كمال الجيار) يرحب بـ (جهاد) ومدير أعماله (خالد الأعسر) ، ويدعوهما إلى الجلوس ، ثم بادر (جهاد) قائلاً فى مرح ودهشة وهو يقدم له علبة السيجار :

ـ معقول ! دكتور (جهاد الرومى) بنفسه هنا فى مكتبى !

وكان رد (جهاد) بابتسامته الوقورة وهو يأخذ سيجارًا من العلبة :

ـ ماذا أفعل لك يا صديقى ؟ سيادتك توقفت عن زيارتى ، فصرت لا أعرف أخبارك إلاّ من نائبى هنا فى الشركة ..

أشعل له (كمال) السيجار ، ثم عاد يسأله وهو يشير بطرف عينه إلى مدير أعماله :

www.riwaya.ga

ـ ويا ترى يا (ابن الرومى) هذه زيارة ودية أم زيارة عمل ؟

وجاءه رد (جهاد) بنفس ابتسامته :

ـ وهل المودة تتعارض مع العمل ؟

ـ أعتقد أنه فى مبدأ (ابن الرومى) العمل ـ أو بتعبير أكثر دقة ـ المصلحة أولاً وثانيًا وعاشرًا ، ثم المودة .

انفلتت ضحكة (جهاد) بنفس وقاره ، ثم كان تعليقه :

ـ ليس إلى هذا الحد يا صديقى .

وأخذ نفسًا متأنيًا من سيجاره ، ثم أردف قائلاً له :

ـ وبمناسبة المصلحة يا صديقى .. أهنئك على نجاحـك فـى اقتنـاص مناقصة مجموعة مستشفيات « المغربى » .

وجاءه رد (كمال) بامتنان مزيف :

ـ البركة فى دعمك وعلاقاتك الجامدة يا شريكى .

وكان رد (جهاد) سريعًا فى عتاب :

ـ أنا صديقك قبل أن أكون شريكك يا أبو (كمال) .

أسرع (كمال) يجيبه بدون صفاء :

ـ طبعًا .. طبعًا يا صديقى .. ربنا يديم المعروف .

وعاد (جهاد) يسحب نفسًا من سيجاره بتأن شديد وهو يتبادل النظـر مع مدير أعماله الساكن تمامًا فى مقعده ، بينما راح (كمال) يتطلع إليـه فى انتظار إفصاحه عن السبب الحقيقى لزيارته ، ولم يطل انتظاره ، فقـد التفت إليه (جهاد) قائلاً بهدوئه المثير :

ـ سمعت يا صديقى أنك تنوى بيع قصرك فى « التجمع الخـامس » ، وشقتك فى « فورسيزون » « الإسكندرية » .

« آه .. هذا هو السبب فى الزيارة إذن » هتف بها (كمال) فى نفسه ، وزعق بداخله نذير شؤم ، ومع ذلك أسرع يتظاهر بـالمرح وهـو يسأل (جهاد) مداعبًا :

ـ هل تريد شراء أحدهما ؟

ـ الاثنان .

أجابه بها (جهاد) بنفس هدوئه ورسوخه ، ثم أردف .

ـ أنوى شراء الاثنين .

توقف لفظ « أنوى » بما فيه من استفزاز فى حلق (كمـــال) ، ولكـن طبيعته المسالمة جعلته يبتلعه ، ويعاود مداعبة (جهاد) :

ـ لماذا الاثنان معًا ؟! هل تنوى الزواج فيهما ؟

أطرق (جهاد) مبتسمًا لوهلة ، ثم كان جوابه وقد تحول هـدوؤه إلـى نوع من البرود :

ـ شىء من هذا القبيل .

وكان رد (كمال) على الفور :

ـ إذن خذهما وثمنهما وصل .

ـ متشكر يا صديقى .. ماذا تريد فيهما ؟

هنا نفد صبر (كمال) ، وتحركت حدته وهو يسأل (جهاد) فى دهشة :

ـ أريد فى ماذا ؟!

ـ فى قصر « التجمع الخامس » وشقة « الفورسيزون » .

ـ ومن أخبرك بأنى سأبيعهما ؟

ـ ليس المهم من أخبرنى .. المهم ردك يا أبو (كمال) .

ـ ردى أننى لن أبيعهما ، ولم أفكر فى بيعهما حتى .. لا هما ولا غيرهما .

هكذا جاء رد (كمال) قاطعًا منذرًا بالغضب من تمادى (جهاد) فى استفزازه ، ولكن (جهاد) بدا وكأنه كتلة من الثلج وهو يقول له بمنتهى البرود :

ـ مائة مليون .. ها .. ما رأيك ؟

وأخذ نفسًا متأنيًا من سيجاره ، ثم أردف بنفس بروده الذى لا يُحتمل :

ـ أعتقد أنه ثمن ممتاز يا أبو (كمال) .

وانفجر (كمال) .. انتفض واقفًا ، خارجًا إليه من خلف المكتب ، حتى وقف أمامه يفترســـه بنظرة قرف واحتقار ، ســـرعان مـــا راح يواجهـــه بتفسيرها وهو يهدر سخطًا :

ـ أنت الآن كما كنت دائمًا يا (ابن الرومى) .. لم يتغير فيك شىء منذ أن كنا طالبين زميلين فى الجامعة .. أكثر من عشرين عامًا مضت وأنت كما أنت .. (جهاد الرومى) المغلف من الخارج بورق ســـوليفان يبهر العين بلمعانه وشياكته ، بينما هو تحت السوليفان شخص أناني .. حقود .. مريض بشهوة السطو على ما فى يد غيره ، وقد زادك ثـــراؤك مرضًا ، وجعل علتك الدنيئة تستفحل مع الأيام .. هل نسيت ؟ هل نسيت (ســـارة) ؟ زميلتنا فى الكلية ، وحبيبتى التى خرجت بها من الدنيا حينـــذاك ، والتـــى عوضتنى بحبها لى عن يتمى وفقرى .. هل نسيت كيف طار صوابك حين علمت بحبها الكبير لى ؟ وكيف قلت لشلتك بمنتهـــى الغـــل كيـــف يحب العصفور فأر الزريبة ؟ وطبعًا كنت تعنينى أنا بفأر الزريبة ، وكيف راحت تغزل شباكك حولها بأسطواناتك المشروخة تارة ، وبمحاولة إغوائها بالمال تارة ، وبعرضك عليها الزواج تارة ، وحينما صدتك وتصدت لكل أســـاليبك الخسيسة هذه كان عقابها فضحها بنشر صور عارية لها تمامًا فى الكلية ، والتى تبين فيما بعد أن وراء هذه الصور فيلم حقير من إنتاجك وإخراجك .. فقد دعتها صديقة لها إلى الغداء مع أسرتها ، وهناك سكبت عليها طبق خضار متظاهرة بعدم التعمد ، فكان على المسكينة أن تبدل ثيابها ، بينمـــا

صديقتها تلتقط لها الصور خلسة ، وليتضح فيما بعد أيضًا أنك أشتريت هذ
الصديقة الحقيرة بالمال لتفعل هذا بالمسكينة ، ولينتهـــى الفـــيلم الأســـو
بانهيار عصبى لها أدى إلى انتحارها .

وأسرع (كمال) يمسح دموعه التى انسابت فوق خديه ، ثم أردف قائلا
وجع جرحه القـــديم الذى انفتـــح مـــن جديد ، مطلقًا حريقًا هائجًا يشوى
قلبه :

ـ وضاعت (سارة) ..

وتخرجنا من الكلية ..

وتفرقت بنا السُبل ..

ومضت بنا السنوات والسنوات دون لقاء يجمعنا ..

وصرت أنت الدكتور (جهاد الرومى) مالك المستشفى العـــالمى الـــذى
ورثه عن أبيه الطبيب الشهير العظيم ، وصرت أنا مالكًا لشركة مستلزمات
طبية لها وزنها وسمعتها ، وإذا بى أفاجأ بسيادتك ذات يوم مشئوم تجلس
أمامى هنا فى ذات المكتب ، وبنفس عنجهيتك وسماجتك هاتين اللتين لـــم
يغيرهما الزمن ، وتطالبنى بخمسين مليون جنيه كشروط جزائية فى صفقة
توريد مستلزمات طبية كنت قد أبرمتها مع رجل أعمال فاجـــأتنى ســـيادتك
بأنه وكيل لك .. أى أنه كـــان طُعمًا قُمت سيادتك باصطيادى بـــه امتـــدادًا

لتنكيلك القديم بى ، ولم تمض عـدة أيام إلا وكنت شريكًا لى بالنصـف فى شركتى التى بنيتها بعرق جبينى .

وانحنى عليه (كمال) محدقًا فى عينيه ، وأردف له بالنار المشتعلة فى قلبه :

ـ أى أن سيادتك فى الأولى أفقدتنى حبيبتى ..

وفى الثانية التهمت نصف شركتى ..

والآن تريد أن تستولى على بيتى الذى يأوينى أنا وأسرتى ، والمطلـوب منى .....

وأسرع (جهاد) يقاطعه :

ـ المطلوب منك أن تحدد الموعد الذى يناسبك لتوقيع عقـود البيـع وتسليمى القصر والشقة .

ثم إذا به ينهض مردفًا ببروده المذهل :

ـ أنا فى انتظار تليفونك يا ..... أبو (كمال) .

والتفت قائلاً لمدير أعماله الذى كان قد سبقه فى النهوض :

ـ هيا يا (أعسر) .

وفى المقعد الخلفى لسيارته وهى تمضى به وجد نفسه يبتسم فى زهو وثقة وهو يأخذ نفسًا طويلاً من السيجار ، بينما مدير أعماله الشاب يجلس فى جواره يتأمله بدهشة طاغية ما لبثت أن دفعته لأن يقول له :

ـ تسمح لى يا افندم .. أنا لا أفهم شيئًا .. سيادتك ذهبت تعرض على الرجل شراء القصر والشقة ، وحددت لـه ثمنهمـا ، وأكـدت لـه أنـك ستشتريهما .. كل ذلك والرجل من الأصل لم يفكر فى البيع ، بل إن الفكرة أغضبته .

وإذا بجواب (جهاد) فى ثقة عجيبة :

ـ ومع ذلك سيبيع يا (أعصر) .

ـ كيف يا افندم ؟!!

رفع (جهاد) السيجار أمام عينيه ، وراح يتأمله بنظرة باسمة ، ثم كان جوابه فى ثقة متناهية :

ـ عندما ترغب فى شراء شىء غير مطروح للبيـع اصنـع لـصاحبه ظروفًا تدفعه لأن يبيع ، ولحظتها سيأتيك صاحبه راكعًا ومتوسلاً إليك لكى تشترى منه .

دهش (الأعصر) بالنظرية ، وهم بأن يشير إليه بحركة إعجاب ، فـإذا موبايل (جهاد) يرن .. أسرع يجيب فى دهشة :

ـ (ريم) هاتم !!

ـ .....

ـ تمام الحمد لله .

ـ .....

وطغت دهشته :

ـ ماذا ؟!!!! أنا وحشتك ؟!!!

وراح يتلفت يمينًا ويسارًا غير مصدق ما سمعه ، ثم عاد يقول لها :

ـ ممكن تقوليها مرة أخرى .

ـ .....

ـ طبعًا لست مصدقًا أذنى .. مؤكد أنا أحلم .. (ريم) هاتم تقول لى أنا « وحشتنى » ؟!

ـ .....

ـ ماذا ؟! أيضًا !!!

ـ .....

ـ لا .. لا .. لا وقت للدهشة فى هذه .. أين أنت ؟

ـ .....

ـ دقائق وأكون أمامك .

وأغلق الموبايل ، وأسرع يهتف فى سائقه :

ـ قف هنا يا (عبد الرحمن) !

وفعل السائق ، بينما (جهاد) يردف لمدير أعماله :

ـ خذ تاكسيًا يا (أعسر) .

ـ أمرك يا باشا .

ونزل (الأعسر) ، فأسرع (جهاد) يقول للسائق :

ـ « الجامعة الأمريكية » بسرعة يا (عبد الرحمن) .

ـ أمرك يا افندم .

وانطلق السائق ، وما هى إلا دقائق حتى كان يجتاز ميدان « باب اللوق » قتربًا من « الجامعة الأمريكية » ، فأسرع (جهاد) يطلب (ريـم) فـى موبايل ، ويخبرها بوصوله ، وما كاد يغلق الموبايل حتى كانت الـسيارة توقف أمام (ريم) حيث كانت تقف أمام بوابة الجامعة ، وأسرع الـسائق قفز من مقعده فاتحًا لها الباب الخلفى منحنيًا وهو يقول لها بكل احترام :

ـ تفضلى يا افندم .

ـ مرسيه .

وركبت (ريم) إلى جـوار (جهـاد) ، وبادرته متسائلة فى مرح والسيارة تتحرك بهما صوب « ميدان التحرير » :

ـ ما كل هذا يا باشا ؟! سيارة سبع نجوم ! وسـائق ! وسـلطنة فى المقعد الخلفى !

ـ هذا أقل ما يليق بملكة .

قالها بشياكة ورومانسية ساحرة ، جعلتها تحلق بعينيها الباسمتين على وجهه بإعجاب لوهلة ، بينما أردف هو يسألها بلهجته الرصينة الساحرة :

ـ ماذا كنت تفعلين فى « الجامعة الأمريكية » ؟

ـ كنت أحضر ندوة بدعوة من صديقة معيدة فيها .

ـ وماذا كان موضوع الندوة ؟

ـ صدام الحضارات .

ـ واو !!!

انفلتت منه بإعجاب متناه ، ثم أردف قائلاً بإعجابه :

ـ هذا هو المدهش فى شخصيتك يا مُزة .

ـ ماذا تقصد يا حضرة الطبيب الوسيم ؟

ـ أقصد جمعك بين النقيضين الرائعين .. الثقافة والتحرر .

ـ ومن ذا الذى أفتى بأنهما نقيضان ؟

ـ جدية الثقافة وجموديتها ، وعبثية التحرر .

انفلتت منها ابتسامتها الساخرة ، ثم كان ردها بشىء من الاستنكار :

ـ لا يا حضرة الطبيب المرموق .. أولاً هذا تصنيف خاطئ وظالم ، فلا الثقافة جامدة ولا التحرر عبثية .. ثانيًا .. لا تناقض بين الاثنين ، بل إنهما متكاملان .

ـ كيف ؟

ـ التحرر يا حضرة الطبيب المرموق قبل أن يكون تحرر سلوك ومظهر هو تحرر عقل ، وتحرر العقل لا يأتى إلاّ بالثقافة .

ـ ولكن .....

أسرعت تقاطعه فى حسم :

ـ قبل « لكن » يا دكتور .. يا حاصل على الدكتوراه هو من جامعة أوروبية دعنى أسألك .. هل الإنسان الأوروبى أو الأمريكى ذو التحرر الجامح غير مثقف ؟

أسقط فى يده :

ـ لا طبعًا .. إنه قمة فى الثقافة .

ابتسمت فى نشوة :

ـ إذن الثقافة والتحرر ما لهما ؟

أسرع يهتف مستسلمًا :

ـ متكاملان .. متكاملان وشقيقان وتوءمان ، وأى واحد منهما يفكر فى الانفصال عن توءمه يستحق قطع رقبته .

وانفجرت (ريم) ضاحكة ، ثم راحت تتأمله فى دهشة ، فأسرع يسألها فى تحسب طفولى :

ـ هل أخطأت فى شىء آخر ؟

ـ بل فاجئتنى .

ـ فاجئتك ؟! فاجئتك بماذا ؟

ـ بخفة دمك يا « دوك » .

أسرع يهتف مفتونًا :

ـ واو !!! ممكن ترمينى بقطعة السكر هذه مرة أخرى .

دُهشت .

ـ أى قطعة سكر ؟!

ـ « دوك » .. ورحمة بابا خرجت من شفتيك أحلى من السكر .

دحت ضحكتها المشتعلة بأنوثتها ، ثم راحت تحلق بعينيها الباســمتين
وجهه وهى تسأله بسعادتها :

ـ ها .. أضحكتنى .. وغازلتنى .. ماذا لديك أيضًا ؟!

ـ منصب تحفة .

الها بسرعة عجيبة وكأنها كانت جاهزة على لسانه ، فأسرعت تــسأله
دهشة :

ـ منصب ؟!!

ـ نعم .

ـ أى منصب ؟!

ـ منصب سفيرة « الجمال والشقاوة والروشنة المصرية » .

ردت ضحكتها الساحرة فى إطراء وهى تسأله بدلال :

ـ ومن الذى سيمنحنى هذا الشرف ؟!

ـ عشاق الجمال والشقاوة والروشنة ؟

ـ وأين هم هؤلاء ؟

ـ موجودون ، وحالاً سيصدرون قرارهم باختيارك لهذا المنصب .

وأسرع يفتح اللاب توب الحديث الذى لا يفارقه ، مدونًا شيئًا ما على صفحته بالفيسبوك ، ثم ناوله لها ، فإذا بالصفحة عليها صورتان لها فى قمة فتنتها تم نقلهما من صفحتها وقد كُتب فوقهما أنا الدكتور (جهاد الرومى) اجتمعت اليوم بعقلى وقلبى وعينى ولسانى وأذنىّ وكل السادة المحترمين أعضاء وحواس جسدى المتواضع من شعر رأسى حتى قدمىّ وقررنا بالإجماع الآتى :

1 ـ ترشيح المُزة الفاتنة الشقية الروشة (ريم أحمد المرشدى) سفير فوق العادة للجمال والروشنة المصرية .

2 ـ نشر هذا القرار على جميع مواقع التواصل الاجتماعى ..

وانفجرت دهشة (ريم) فى وجهها وعينيها ، والتفتت إليه لتعلق بشىء فإذا به يشير لها بالانتظار ، ثم يسترد اللاب توب ، ويشعل سيجارًا ، ويشرد بعينيه عنها فى هدوء عجيب ، فانفلت سؤالها فى نفسها « ما الحكاية ؟ هل هذا الرجل مجنون ؟! » ومضت تحدق فيه بدهشتها وحيرتها لما يزيد على العشر دقائق دون أن يحرك ساكنًا أو ينبس ببنت شفة ، ونفد صبرها فأسرعت تهتف به :

ـ يا دكتو .....

أسرع يقاطعها للمرة الثانية بإشارة من يده ، ويعيد إليه الـــلاب تـــوب
توحًا على صفحته ، وما كادت تنظر فيها حتى انقلبت دهـــشتها ذهـــولاً
طبقًا ، حتى أنهـــا أسرعت تكتم فمها بيدها لتمنـــع صيحة ذهولهـــا مما
رى .. مئات من الإعجابات والموافقات والتهنئات وباقات الورود وبيانات
كية من عشرات المجموعات الشبابية وعـــشرات التطوعـــات بإنـــشاء
فحات عاجلة باسم السفيرة (ريم المرشدى) سفيرة الجمال والروشـــنة
مصرية !!!!

وعصف الذهول بالفتاة ، والتفتت إلى الرجل العجيب تحدّق فيه بذهولها ،
ذا به يقول لها بهدوئه المثير :

ـ انتظرى لســـاعات معـــدودة فقـــط ، وســـوف ترين أسرة الفيسبوك
التويتر المليارية بأكملها تطير بك من الفرحة ، وتعتمد تعيينك فى منصبك
ير المسبوق يا جناب السفيرة .

لم تملك له ردًا ، فقد عقد الذهول لسانها تمامًا ، ولم ينتشلها من ذهولها
لا قوله للسائق :

ـ « التجمع الخامس » يا (عبد الرحمن) .

هنا انفلتت هتفتها وهى تسارع بالتلفت يمينًا ويسارًا عبر نافذة السيارة :

ـ ما هذا ؟!! أين نحن ؟!!

ـ فى شارع (مصطفى النحاس) .. « مدينة نصر » .

وأردف وهو يبتسم مشفقًا عليها من دهشتها :

ـ (عبد الرحمن) لا يسألنى أبدًا عن وجهتى طالما لم أخبره .

ـ ولكنه يلف بنا لما يزيد على الساعة !!

ـ ولـو .

ـ كيف نسيت نفسى هكذا ؟!

انفلتت من عينيه نظرة مفعمة بالشقاوة وهو يجيبها مبتسمًا :

ـ أنا الذى نسيت نفسى .. ولى العذر ، فبجانبى وفى مقعد واحد مُزّة تهوس العقل .

خفق قلب المُزة ، ووجدت نفسها مخطوفة بنظرته ورومانسيته وأسرعت تهرب من شقاوة عينيه بالنظر من نافذتها وهى تحاول السيطرة على قلبها الهائج بنشوة ساحرة طال غيابها ، وبرائحة دنيا حلوة مقبلة عليها كأنها الجنة بذاتها ، وسمعت صوتًا حنونًا بداخلها يهمس لها ناصحًا

فتحى قلبك يا عصولة لسعادة طال شوقك إليها .. هيا التفتى إلى هديـة السماء لك ولا تهربى منها .. هيا .. هيا » .. وهمت الفتاة بالالتفات إلـى المدهش الجالس إلى جوارها ، ولكن ..

ولكن فجـأة ، وقبـل أن تكمـل التفاتتها ، تسمرت عيناها على مشهد شلها بعنف مما هى فيه ، وعقد مشاعرها وأعصابها وملامحها بدهشة تحتمل .. مشهد رجل باهر الأناقة ، وأناقته من النوع الفـاخر البـاهظ الكلفة ، ينزل من سيارته الملاكى الـ « هوندا » التى تفوق أناقته فخامة ، تنزل معه فاتنة ثلاثينية العمر أطغى أناقة منه ومن سيارته ، ويمضى بها مدخل البرج السكنى الراقى الذى توقفا أمامه بالـسيارة ، ويختفيـان داخله !!! حدث هـذا فى ثوان معـدودة كـان (جهاد) خلالها مـشغولاً بالتطلع إلى الإعجابات والتعليقات التى تواصل الانهمار على صفحته افتتاناً بفتاته ، غير منتبه إلى أن فتاته قد طارت منه إلى وادٍ آخر ، وحال آخر ، إلى زحام الشارع شبه المتوقف ، وانفجر بركان الصدمة داخل (ريم) الفقيد إلى ما يشبه حبة الفيشار فوق النار وهى تواصـل التحديق فـى مدخل البرج بعصبية جامحة حتى خطر لها أن تقفز من السيارة ، وتنطلق خلف الرجل وفتاته ، وخيل إليها أنهما يستقلان المـصعد فأسـرعت عينيها على واجهة البرج ، فإذا بلافتة ضخمة شديدة الفخامة منقوش عليها بخط نحاسى بارز .

(شركة إيجيبت ميديا للدعـــاية والإعلان) .. المالك ورئـيس مجلس الإدارة (شادى محمد الأمير) !!!!!

[يُتبـــع]

Fawzi awad 2011 @ yahoo. Com

وإلى اللقاء فى الجزء الثانى إن شاء الله

★ ★ ★

لتحميل المزيد من الروايات
الحصرية الرائعة و الممتعة
زوروا موقعنا
www.riwaya.ga

زهور
سلسلة رومانسية رفيعة المستوى
السلسلة التى لا يجد الأب أو الأم
حرجًا من وجودها بالمنزل
122

فوزى عوض

www.riwaya.ga

حب للبيع

« الجزء الأول »

وبينما هى بهذه الحال تشبه الميت إكلينيكيًا ، راحت كتل من ضباب أسود تتراكم أمام عينيها رافعة جدارًا من سوادٍ حالكٍ ، وعلى هذا الجدار راحت تومض مشاهد حية نابضة تروى حكاية الحب الذى كان ...

www.rewayatmasreya.com
facebook.com/rewayatmasreya
الخط الساخن
19350
العربية الحديثة